
روايات مصرية للجيب
ما وراء الطبيعة
أسطورة
الغرباء
18

مقـــدمة

من جديد هو ذا د . (رفعت إسماعيل) يتحدث إليكم ...

أرى - وهذا يسرني - أن عددكم قد ازداد كثيراً وإنني لأجرؤ على مقارنته بالعدد الذى جلس حولى أول مرة كى يصغى إلى أسطورة مصاص الدماء ...

عندئذ أفهم معنى الاهتمام ومغزى الحب ...

هل جاء الجميع ؟.. فلننتظر هنيهة .. لربما كان هناك من يلهث فى الخارج تحت الأمطار باحثًا عن طريق مجلسنا هذا .. ولربما كان هناك من يصعد الآن درجات السلم .. ولربما هناك من تأخرت عقارب ساعته عن السابعة مساء .. موعدنا ...

ما أقسى حياة لا ينتظر فيها السابقون من تأخروا عنهم ..!

إن الحفاظ على المواعيد أمر لا بأس به ، لكن التسامح فضيلة أكثر قيمة ، ولن يفهم هذا سوى شيخ فان مثلى تعلم أن يسمع الأعذار أولاً قبل أن يعاقب أو يغضب ...

هوذا آخركم .. تعال إلى المجلس ولا ترتبك .. ساعدوه على الجلوس .. قدموا له بعض الشاى .. هل

هدأت نوعًا ؟.. إذن اقترب منى وأصغ لحكاية الليلة مع من سبقوك ......

كانت آخر قصة حكيتها لكم هى قصة النبات .. لا خطأ هنالك .. فقصة (النافاراى) كانت تكملة لقصة (الكاهن الأخير) .. وقصة الحسناء فى المقبرة حدثت فى أثناء مرورى بأسطورة (النافاراى) .. إذن التتابع الزمنى الصائب يقول إن آخر قصة حكيتها كانت (النبات) تليها قصة اليوم .. القصة التى حدثت عام ١٩٦٨ فى (سويسرا) لى أنا الكهل الذى بلغ من العمر أربعة وأربعين عامًا وقتها ....

والآن ماذا أقول لكم ؟

نعم .. كما هى العادة ..

أضيئوا الأنوار وأغلقوا الأبواب وأصغوا لما سأقول ...

* * *

- ١ -

(فى هذه المرة لن أتدخل قليلاً ولا كثيرًا فى الأحداث .. سأتركها لتيارها الطبيعى كريشة عائمة فى مجرى نهر ، وسأترك لكم هذا الحشد من قصاصات الصحف والصور الفوتوغرافية وخلافه كى يجرفكم معه وكى تستنتجوا منه ما تستنتجون ...

فقط تذكروا أن هذه الأحداث وقعت عام ١٩٦٨ ....)

* * *

مجلة (أخبار الجامعة) :

أ . د (رفعت إسماعيل) يسافر إلى (سويسرا)

بقلم : (سلوى محمود) ـ السنة الرابعة .

قابلته قبل سفره بيومين ـ الأستاذ (رفعت إسماعيل) ـ وكان منهمكًا فى إعداد أوراقه ، غارقًا فى التدخين كعادته ، وبصعوبة نجحت فى إقناعه بأن يتحدث إلى مجلة (أخبار الجامعة) وإلى طلبته الذين سيقرءون هذه السطور .

وفى مكتبه طلب لى مشروبًا باردًا ولنفسه قدحًا من القهوة ، وأشعل سيجارة ثم جلس يجيب عن أسئلتى التى حاولت بها أن أكشف لكم ـ أخى الطالب وأختى

الطالبة ـ بعضًا من عالم هذا الأستاذ الذى احترمناه جميعًا : د . (رفعت إسماعيل) .

● الأستاذ الدكتور (رفعت إسماعيل) .. نريد معرفة ما فى بطاقتك الشخصية ..

○ سؤال غريب وإجابة ـ حتمًا ـ أغرب !

(كانت روحه المرحة تفيض على المكان ، وتذكرت هنا ما يقال عن حبه الشديد للدعابة فضحكت ، ثم واصلت الأسئلة) :

● فيم تفكر فى هذه اللحظة ؟

○ هذا لا يعنيك فى شىء ..!

● ما هى هواياتك ؟

○ التدخين !

● يقولون إن لك صولات وجولات فى عالم ما وراء الطبيعة وإنك واجهت كل أنواع الكوابيس والمسوخ .. فهل هذا صحيح ؟ وما هو سبب هذا الولع ؟

○ ربما أنهم لم يثيروا رعبى بما يكفى فى طفولتى فنشأت ظامئًا إلى الرعب .

● ولماذا لم يتزوج د . (رفعت إسماعيل) بعد ؟

○ أستطيع أن أقول إن هذا ليس شأنك ، لكننى لن أقولها لأننى لا أريد إلقاء (كرسى فى الكلوب) ، وعلى

كل حال يمكن سؤال النساء عن هذا بدلاً منى . ربما كنت خير من ينطبق عليه بيت الشعر ..

فأما الحسان فيأبيننى   وأما القباح فآبى أنا !

● إذن هل يمكن أن يقع د . (رفعت) فى الحب ؟

○ لا يوجد ما يمنع فأنا لست صنم (نسرا) أو تمثال (خفرع) .. وإن كنت أدعو الله ألا يحدث هذا .. فالحب فى الرابعة عشرة ضرورة .. وفى الرابعة والعشرين حياة .. وفى الرابعة والثلاثين حماقة .. وفى الرابعة والأربعين مأساة !

● إذن أنت تكتب الشعر ؟

○ إذا كنت تعتبرين ما قلت شعرًا فأنا لا أنكره ...

● ما هو رأيك فى الصداقة ؟

○ أتمنى أن أعرف سر اهتمام الفتيات بهذه التعريفات المقتضبة السخيفة اللواتى يكتبنها فى آخر كراسات المحاضرات .. على كلٍّ سأقول لك أى شىء يخطر ببالى .. الصداقة كفاح !

● كيف تكون الصداقة كفاحًا ؟

○ لا أدرى .. قلت لك أول ما خطر لى .. أليس هذا كافيًا ؟

• ما هو رأيك فى المرأة ؟

○ كائن طويل الشعر ويستطيع انتعال الأحذية ذوات الكعب العالى دون أن تنكسر رقبته ..

• ما هو رأيك فى الجمال ؟

○ الجمال أزرق !

• ما معنى أن الجمال أزرق ؟

○ لا أدرى ..

• وما رأيك فى الذكرى ؟

○ الذكرى هى النار التى ستدفئ برد شيخوختنا ..

• لونك المفضل ؟

○ الأسود !

• مطربك المفضل ؟

○ أنا .. فى الحمام !

• لماذا تسافر إلى (سويسرا) ؟

○ يا له من سؤال !.. ليس للتزلج على كل حال ..! إننى ذاهب إلى (جنيف) مقر منظمة الصحة العالمية لتقديم تقرير عن (الأنيميا) لدى طلاب المدارس فى (مصر) ، باعتبار (مصر) نموذجًا جيدًا للدول النامية ، وبالطبع سيكون هناك آخرون من (الهند) و (إفريقيا الاستوائية) وغيرهما ......

• هل هى زيارتك الأولى لهناك ؟

○ إن المرء لا يزور (سويسرا) مرتين ما لم يكن مليونيرًا يطمئن على رصيده ..

• نتمنى لك رحلة طيبة وعودة سالمة .

○ شكرًا جزيلاً ..

وهكذا ـ أخى الطالب وأختى الطالبة ـ أنهينا هذا الحوار الشيق مع أ. د. (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم بالكلية ، وقد حاولنا أن نتعمق فى شخصيته ونتفهم آراءه فى الحياة ونزيل بعض علامات الاستفهام من حوله .

وفى عناية الله نترككم ونعدكم بلقاءات أكثر إمتاعًا مع عدد من أساتذة الكلية الأجلاء .

(سلوى محمود)

* * *

الصفحة الأولى من جريدة (.....) :

(معجزة تنقذ طائرة مصرية)

برن ـ وكالات الأنباء :

نجا ركاب وطاقم إحدى الطائرات المصرية من حادث غير متوقع كان سيفضى إلى كارثة . حيث تعطلت محركات الطائرة لسبب غامض وهى موشكة على

الهبوط . ثم تمكن قائد الطائرة من استعادة السيطرة والهبوط بسلام فى (سويسرا) وجهة الوصول . وقالت السلطات فى المطار إن الحادث نجم عن خلل فى المحركات وأن نسبة حدوثه نادرة جداً .

* * *

صفحات من نشرة سياحية مطبوعة بالإنجليزية :

(سويسرا : جنة الأرض)

لقد حبا الله (سويسرا) بالسلام والثراء والجمال ، حتى غدت كواحة للأمان والهدوء وسط (أوروبا) المحتدمة بالصراعات .

ويرجع هذا إلى سياسة الحياد التى التزمت بها (سويسرا) بدقة ، مما أدى إلى استقرار أوضاعها ، وبعدها عن الحروب . وقد شجع هذا المستثمرين وأصحاب الثروات على إيداع أموالهم فى بنوك (سويسرا) ذات الشهرة العالمية .

وتتكون (سويسرا) من اتحاد لاثنتين وعشرين مقاطعة ـ أو ما يسمونها (كانتون) ـ ويتوسط موقعها أربع دول هى (ألمانيا) و (النمسا) و (فرنسا) و (إيطاليا) ، لهذا تشكل اللغة الألمانية ٧٢ ٪ من

الألسنة ، وتشكل الفرنسية ٢٠ ٪ ، والايطالية ٦ ٪ ، بينما تنفرد مقاطعة (جريسون) بنسبة ١ ٪ ممن يستعملون اللغة الرومانية .

وتمر بـ (سويسرا) سلسلتا جبال هما جبال (الألب) وجبال (جورا) . وبين السلسلتين يوجد سهل فسيح . وتشتهر البلاد بمناطق الانزلاق التى يأتيها السياح من كل أرجاء العالم كى يستمتعوا بالتزلج على الجليد فى (سان موريتز) و(دافوس) و(زرمات) .

* * *

قصاصة من جريدة (نويشاتل) باللغة الألمانية :

انتهت اليوم آخر جلسات مؤتمر (الأنيميا) الثلاث ، والذى قامت بتنظيمه منظمة الصحة العالمية فى (جنيف) . وقد ضم المؤتمر نخبة من أساتذة أمراض الدم فى العالم ، وإن كانت هناك وجوه غير معروفة ـ لنا على الأقل ـ من العالم الثالث . نذكر من هؤلاء البروفسير (ساروار) من (بومباى) و(إيديامى) من (نيجيريا) و(خوان رودريجز) من (كولومبيا) و(إسماعيل رفعت) من (مصر) .

وقد التقينا بالأخير بعد أن أنهى المحاضرة القصيرة التى ألقاها عن مشكلة (الأنيميا) فى (مصر) وسألناه :

- إذا ما تناسينا المصطلحات الطبية .. ما هو سبب
مشكلة (أنيميا) أطفال المدارس فى مصر ؟

- أنا لا أرى أنها تشكل ظاهرة مروعة ، إلا أن دودتى
(البلهارسيا) و(الإنكلستوما) تلعبان الدور الأساسى
عندنا ..

- إذن ليس الفقر هو المشكلة ؟

- الفقر مشكلة فى حد ذاته لكنه ليس المتهم
الوحيد .. هناك الديدان والخبز الأسمر وعادة احتساء
الشاى بعد تناول الطعام .. بالإضافة إلى افتقار المواطن
المصرى إلى ثقافة غذائية سليمة عمومًا ..

- وما هى خططك بعد انتهاء المؤتمر ؟

- تلقيت دعوة إلى (بازل) من أستاذكم العظيم
(فريديك شوندر) لأرى الجديد فى صناعة الأدوية
هناك ، خاصة وقد أخبرنى أن (بازل) هى مركز
الصناعات الكيميائية عندكم ، إن بضعة أيام هناك لن
تؤذى أحدًا ..

تمنينا للدكتور (إسماعيل) زيارة طيبة إلى (بازل)
ثم مضينا عبر أروقة المكان باحثين عن البروفسير
(إيديامى) الذى حدثنا عن :.........

* * *

صفحة من نشرة سياحية بالألمانية :

بازل : (بازل) هى المدينة السويسرية التى شقها
نهر (الراين) إلى نصفين ..

إن القادمين إلى (بازل) لابد أن ينبهروا بالتاريخ
العريق لهذه المدينة ، التاريخ الذى يرجع إلى ألفى عام
منذ بناها الرومان فى تلك الرقعة المتاخمة لـ (فرنسا)
و(ألمانيا) . وتشتهر المدينة ـ فضلاً عن صناعة
الأدوية ـ بسوق (موسترميس) الذى يعرفه السياح
جيدًا .

وفى وقت من الأوقات كانت (بازل) مركز الثورة
على حكم الأساقفة ، وبها طبعت تعليمات الراهب الثائر
(مارتن لوثر) الذى بذر بذرة المذهب (البروتستانتى)
فى (أوروبا) .

إن زائرى (بازل) يعرفون جيدًا جمال المدينة ،
ويعرفون أنها أهم موانئ (سويسرا) .

* * *

قصاصة من جريدة (....) القاهرية :

(النيزك لن يصطدم بالأرض)

وكالات الأنباء : أكد العلماء فى وكالة (ناسا)
الفضائية والعاملون بمشروع (أبوللو) أن النيزك



ويؤكد د. (برت لامبرت) مدير المشروع أن مدار النيزك قد انحرف قليلاً عما هو متوقع ..

شوهد يجتاز مجموعة الكويكبات يوم ١٤ / ٢ لن يصطدم بالأرض . ويؤكد د . (برت لامبرت) مدير المشروع أن مدار النيزك قد انحرف قليلاً عما هو متوقع وبالتالى فمن المؤكد أن يضيع فى الفضاء . ومن المعروف أن توقعات العلماء كانت تشير إلى قرب سقوطه فى مكان ما من (أوروبا) . وبرغم أن حجم النيزك صغير نسبيًا إلا أن الأضرار التى كان ممكنًا أن يسببها سقوطه فوق إحدى المدن كان يثير قلقًا عامًا .

★ ★ ★

قصاصة من جريدة (...) القاهرية :

بتاريخ (٢٤ / ٢ / ٦٨) :

اجتماعيات :

◉ تم أمس زفاف الآنسة (سميرة إبراهيم) إلى الدكتور (محمود عزمى) .

◉ فى حفل عائلى بهيج تم عقد قران الآنسة (هويدا عبد المنعم) بالتربية والتعليم على الأستاذ (سيد الشمندورى) الموجه بالتربية والتعليم . ألف مبروك .

◉ تمت خطبة الآنسة (سحر الشربينى) بالجامعة الأمريكية إلى رجل الأعمال (شريف إبراهيم) .

◉ تمت ....

★ ★ ★

صفحة (العلوم) بمجلة (....) :

ماذا تعرف عن النيازك ؟

برغم تأكيد العلماء أن النيزك الذى دنا من الأرض فى ١٤ / ٢ لن يصطدم بها ، إلا أن مسار النيزك اقترب من (أوروبا) بشكل غير مسبوق ثم اختفى تمامًا فلا يعرف أحد مصيره حتى هذه اللحظة !.

ويذكرنا هذا بحادث سابق شهير هو حادث نيزك (تونجوس) عام ١٩٠٨ ، فقد هوى هذا النيزك فوق غابات (التايجا) فى (سيبيريا) ليملأ المكان نورًا .. وتكونت سحابة دخان هائلة .. وحدثت انفجارات مروعة وارتجت الأبنية وتهشم زجاج النوافذ ثم لا شىء (*) ... وحتى البعثات السوفيتية التى ذهبت لمكان السقوط لم تجد شيئًا .. ولا حفرة واحدة .. ولا شظية .. فيما عدا أن الأشجار كانت متساقطة عبر دائرة قطرها مائة كيلو متر واتجاه جذوعها يشير إلى مركز الانفجار الذى أسقطها ، الغريب هنا أن الأشجار كانت سالمة تمامًا فى هذا المركز !.. فأين ذهب النيزك ؟

وافترض الأمريكيان (جاكسون) و(ريان) أن هذا التأثير لا ينجم إلا من اصطدام الأرض بثقب أسود .

(*) حقيقة .

على حين افترض السوفيتى (ستانيوكوفتش) أن ما اصطدم بالأرض هو نواة جليدية لمذنب صغير .. وأن هذه النواة قد ذابت لدى احتكاكها بجو الأرض وتبخرت محدثة انفجارًا .

وتفند النظرية الأولى حقيقة أن اصطدام الأرض بثقب أسود لن يمر بهذه البساطة .. وتفند النظرية الثانية حقيقة أن أحدًا لم ير مذنبات فوق (سيبيريا) عام ١٩٠٨

وبالطبع ظهرت بعض الخزعبلات على غرار أن ما حدث كان انفجارًا نوويًا فى محركات سفينة فضاء .. أو أن النيزك كان من مادة مضادة ، لكننا واثقون بأن تفسير ما حدث موجود - أو لم تتم معرفته بعد - فى قواعد علم الفلك .

إن تكرار حادث (تونجوسكا) بعد ستين عامًا ليدعونا إلى إعادة تأمل هذه الظاهرة المحيرة .

* * *

- ٢ -

(صورة وسط أشجار الصنوبر رائعة الجمال بها مجموعة من الأشخاص يبتسمون للكاميرا ببلاهة . أحدهم أشيب الشعر يدخن غليونًا ، وأحدهم أصلع تمامًا ناحل الجسد يدخن لفافة تبغ وينظر فى عصبية إلى قداحته التى تأبى أن تشتعل ..)

(توجد أرقام صغيرة فوق رأس كل واحد من الواقفين تمت كتابتها بقلم جاف ، وعلى ظهر الصورة تمت كتابة فهرس بأسماء القوم حسب الرقم) .

١ - بروفسير (فردريك شوندر) مضيفى ..

٢ - أنا .. (لم يخطرنى المصور اللعين بأنه يوشك على ضغط الزناد وكنت منهمكًا فى إشعال القداحة) .

٣ - د . (هانز رايتمان) لا أدرى عمله بالضبط لكنه دائمًا هناك .

٤ - (مارتا) الحسناء سكرتيرة (شوندر) ..

٥ - ......

٦ - ......

(بازل) ٢٥ / ٢ / ١٩٦٨

★ ★ ★

قصاصة من جريدة سويسرية :

يصل اليوم إلى قرية (موندهاوزه) فريق من علماء الفضاء السوفيت والأمريكيين لدراسة الآثار المحتملة لسقوط النيزك - الذى اصطلحوا على تسميته (نيزك موندهاوزه) - والذى دخل المجال الجوى فى ١٤ فبراير ، ويؤكد الأهالى بالقرية أنهم شاهدوا ضوءًا ساطعًا يعمى الأبصار ، وسمعوا دويا مرعبًا اهتزت له النوافذ وتحطم زجاج الكثير منها .

لكن لم توجد آثار مادية ملموسة للنيزك ولم يره أحد يسقط ولم تتناثر منه شظايا أو مخلفات مما يجعل الأمر مثيرًا لجدل علمى واسع .

وقد التقينا بالبروفسير (نيكفور أنسيمفتش) من معمل (لينينجراد) لأبحاث الفضاء ، وسألناه عن رأيه فيما حدث .. فقال لنا :

○ إن الأمر كله غريب .. ولقد قمنا بفحص دائرة قطرها ثلاثون كيلو مترًا دون أن نجد أثرًا لهذا النيزك .. لا شىء سوى زجاج النوافذ المحطم وحكايات الأهالى . لقد حدثت الظاهرة ليلاً ولم تستغرق سوى عشر دقائق لكن الجميع رأوها هنا .

● هل وجدتم آثار إشعاعات ؟

○ بالطبع لا وإلا ما كنا هنا نثرثر .. إن ما حدث هو تكرار شبه تام لنيزك ١٩٠٨ فى (سيبيريا) والذى اصطلح علماء الفلك على تسميته (نيزك تونجوس) ، فيما عدا فارقًا واحدًا هو أن الأشجار لم تتحطم ولم تقتلع من جذورها .

● هل تميلون إلى اعتبار ما حدث نوعًا من اللقاء مع سكان العوالم الأخرى ؟

○ في الاتحاد السوفيتى لا نؤمن بهذه الترهات وليدة العقل البرجوازى وعشاق كتابات الخيال العلمى ، ونحن نثق بوجود تفسير مادى جدلى لهذا الذى حدث .

أما الدكتور (مارك جودمان) من وكالة (ناسا) لأبحاث الفضاء الأمريكية فيؤكد :

○ أنا مؤمن بأن هذا نموذج آخر للقاءات اللصيقة من النوع الثانى ، أى أن هناك من رأى جسمًا طائرًا غير معروف ، وهذا الجسم قد ترك آثارًا مادية مؤكدة ..

● وهل هناك آثار مادية غير الزجاج المهشم ؟

○ لقد قابلنا ثلاثة أو أربعة فلاحين كفت أبقارهم عن إدرار اللبن .. ونحن نقابل هذه الشكوى دائمًا فى كل حالات ظهور الأجسام الطائرة غير المعروفة .. أو ما يسمونه بشكل أقل تحفظًا بـ (الأطباق الطائرة) .

● وما هى خططكم الحالية ؟

○ لا شىء . سنقابل الجميع ونصغى لقصصهم . ثم نحلل دماءهم ونفتش كل مكان بحثًا عن الإشعاعات . ونرسل بعض الصخوروالنباتات إلى معاملنا لفحصها ، وفى العادة لن يسفر كل هذا عن شىء لكننا سنفعله على كل حال !

* * *

ركن (هواة الأدب) فى مجلة (جيجنفارت) :

وصلتنا قصيدة شعرية من (بيترشمارت) الذى يبلغ من العمر عشرين عامًا ويقيم فى (موندهاوزه) جوار (بازل) . يقول (بيتر) إنه مولع بأشعار (شيللر) وإنه يكتب الشعر من قبل أن يتعلم الكلام .

ويصف (بيتر) لنا ليلة الرابع عشر من (فبراير) حيث رأى (رؤيا علوية) على حد قوله ، وأنه رأى ملائكة السماء آتين من أجله (ليحملوه نحو السر الأعظم) . ومن الواضح أن حادث النيزك الذى كاد يزيل قريته من على وجه الخارطة قد أثر فى معنوياته كثيرًا ، وها نحن أولاء نقدم لكم مقطعًا من قصيدته التى أسماها (نيزك) :

لم يكن ثمة شىء ..

إلا أنه حين دوّى اللحن العلوى ..

والتمعت السماء ببرق غير أرضى ..
عندئذ جاء الشىء ..
كعنقاء جاءت من أرض الأساطير ..
أو كمقطع من (باخ) ..
أو حلم من دنيا (تريستان وأوزوالد) ..
جاء يزور عالمى ..
جاء يحملنى معه إلى السر الأعظم ...
لم أر وجوههم .. لم أسمع أصواتهم ..
لكننى عرفت أنهم جاءوا ......

هذا هو المقطع الذى اخترناه من قصيدته مفرطة الطول ، وسنسمح لأنفسنا أن نفترض أن (بيتر) يكتب الشعر فى دورة المياه وعليه أن يكف عن هذه العادة إذا أراد أن يكتب شيئًا مقبولاً يومًا ما ..!

★ ★ ★

ركن (حوادث وقضايا) فى مجلة (جيجنفارت) :

وجد أحد الحطابين جثة شاب طافية فوق مياه جدول فى قرية (موندهاوزه) جوار (بازل) ، وتبين مفتشو الشرطة أن الجثة لشاب من أهالى القرية يدعى (بيتر شمارت) (٢٠ سنة) وسبب وفاته أسفكسيا الغرق .



وجد أحد الحطابين جثة شاب طافية فوق مياه جدول فى قرية (موند هاوزه) جوار (بازل) ..

وقد أكد والده الذى يملك مزرعة صغيرة أنه يرجح انتحار ابنه ، خاصة وأنه لم يعد على مايرام فى الآونة الأخيرة ، وأنه شعر بعد سقوط النيزك بأن هناك حافزًا قويًا يدعوه إلى الصعود للسماء . ويؤكد الدكتور (هوفمايشتر) طبيب القرية أن ملامح الاكتئاب والتوتر بدأت تغير أسلوب الفتى وتعامله مع الآخرين مع تأكيده المستمر على (أنهم بيننا) . ويؤكد الطبيب أنه عجز تمامًا عن فهم ما يعنيه بـ (هم) .

ويثير هذا الحادث علامات استفهام عديدة حول أسباب انتحار الشباب فى سن يمكن أن يقدم الكثير فيه .

★ ★ ★

من مفكرة فرويلاين(*) (مارتا) سكرتيرة (شوندر):

الثلاثاء ٢٦ / ٢ :

١ ـ الاتصال بـ (شنايدر) .

٢ ـ حساب البنك .

٣ ـ السفر مع البروفسير وضيوفه إلى مسقط رأس البروفسير فى (موندهاوزه) ـ حتى ٣ /٣ ـ ثياب ثقيلة .

٤ ـ إرسال خطاب (أنجا) قبل السفر .

★ ★ ★

(*) فرويلاين : آنسة بالألمانية .

(صورة لنفس المجموعة السابقة ـ تقريبًا ـ فى ثياب شتوية .. ليتكم ترون منظرى بالقلنسوة ومعطف المطر .. هذه المرة نقف فوق الجليد ، على حين تغطى الثلوج قمم أشجار (الشربين الفضى) .. ومن بعيد تبدو مداخن الأكواخ مغطاة بالثلج الأبيض الناصع والبخار يتصاعد من أفواهنا ..

التقطت (مارتا) هذه الصورة لنا حتمًا لأننى لا أراها ...

كانت هذه هى قرية (موندهاوزه) مسقط رأس البروفسير) والتى أصرّ على أن نزورها خاصة وأنها لا تبعد أكثر من نصف ساعة عن (بازل) .

١ ـ البروفسير (شوندر) ..

٢ ، ٣ ـ أبوه وأمه ، وإننى لأسائل نفسى عن سر بقائهما حيين كل هذه الأعوام .. فى الواقع يبدوان لى أصبى من ابنهما .

٤ ـ أنا ...

٥ ـ د . (هانز رايتمان) ...

★ ★ ★

صور سخيفة لى وأنا أتأمل المعالم الساحرة المعتادة فى هذه القرى .. أرتدى لوحتى التزلج وهم يحاولون

إقناعى بأن أفعل شيئًا .. صور لى فى أكواخ خشبية وسط فلاحين ذوى شوارب كثة يجرعون الجعة التى تتناثر رغوتها فوق المناضد ..

* * *

قصاصة من جريدة (نويشاتل) :

يغادر (سويسرا) اليوم وفد علماء وكالة (ناسا) الأمريكية ونظائرهم السوفييت بعد انتهاء عملية المسح الشامل الذى أجروه على موضع سقوط النيزك فى قرية (موندهاوزه) .

ويقول د . (جودمان) (أمريكا) أن البحث لم يسفر عن شىء برغم المحاولات المستميتة التى قاموا بها هناك .

- إن النيازك لا تظهر وتختفى بهذه الطريقة . أن يرى الجميع ضوءًا ويسمعوا أصواتًا ، ويشير كل شىء إلى أن هذا الجسم يقترب ، ثم فجأة لا يعود هناك نيزك ، وتعود الحياة إلى ما كانت عليه .

إننا - فى (ناسا) لا نؤمن بالهلاوس الجماعية .. وحين يرى عشرة آلاف رجل ظاهرة ما فمن الصعب أن نعزو هذا إلى الإيحاء .

ما من فلكى لا يذكر نيزك (تونجوسكا) الذى رآه كل سكان (سيبيريا) يهوى فوقهم ، ثم تلاشى دون أن يترك أثرًا .

نحن - فى (ناسا) - نميل إلى اعتبار هذه الظاهرة ناجمة عن اصطدام ثقب أسود صغير بالأرض .. فقط الثقوب السود لا تنفجر إلا إلى الداخل .. وقوة جاذبيتها الكاسحة تمنع بعثرة الجسيمات التى يصطدم بها الثقب الأسود ..

إن السوفييت ميالون أكثر إلى فكرة المذنب الجليدى الذى يذيبه الاحتكاك بالهواء فلا يبقى له أثر . كالرجل الذى يقتل خصمه بلوح من ثلج فإذا ما ذاب الثلج اختفت أداة الجريمة .

إننى أرى الاحتمال الأخير وجيهًا خاصة وأننا - فى هذه المرة - رأينا مذنبًا كاملاً يدنو من (أوروبا) ، فى عام ١٩٠٨ لم يكونوا قد رأوا أية مذنبات .

وعلى كل حال أرى أننا قمنا بكل ما يجب عمله ، وقد حان الوقت لنعود إلى معاملنا حاملين عيناتنا وعلامات استفهامنا .

* * *

ركن (جراح القلوب) بمجلة (جينجفارت) :

عزيزتى (مارليز) :

أكتب إليك هذا الخطاب للمرة الأولى ، ولا أدرى السبب فى الواقع .. فأننا لا أثق كثيرًا بالمشاكل التى تنشرها المجلات ولا أعتقد دومًا فى صحتها .. أحيانًا أحسب أن أكثر من كاتب قصة قصيرة مغمور يتسلى بتأليف مشاكل تنشرها مجلاتكم ......

على كل حال وجدت نفسى فى تلك المرحلة التى يحتشد فيها الدخان الأسود فى الصدر فلا يجد مخرجًا إلا على شكل حبر أسود يخطه قلمى فى رسالة إليك ....

هو : شاب فى الخامسة والعشرين .. وسيم .. ناجح .. ويحبنى ..

أنا : فتاة حسناء لطيفة كما يقولون ....

جاء إلى بلدتنا ـ وهى بالمناسبة قرية صغيرة جوار (بازل) ـ منذ عام هو وأسرته ، وكانت هذه هى البداية .. أنت تعرفين كيف تتم هذه الأمور ....

دعوة إلى حفل راقص .. همسة فى أذنى .. الخروج معًا فى ليالى الصيف إلى الغابات .. ألحان الـ (روك أندرول) ..

زهرة (البانسيه) خلف أذنى والآمال فى قلبى .. أبواه راضيان عن علاقتنا ..

أبواى فخوران بها .. الكل فى القرية ينتظر ...

وفى تلك الأمسية ـ ليلة رأس السنة ـ قال لى وهو يلهث إنه يحبنى ولن يرضى عنى بديلاً .. وقدم لى خاتم خطبة بسيطًا وطلب منى الزواج .. ولم يدعنى أقدم ردى إلا بعد أن أمعن الفكر فى مطلبه . ولم أكن ـ فى الواقع ـ بحاجة إلى هذه المهلة ...

ومرت أيام ..

حدث شىء أليم لأخيه الأصغر (فى العشرين من عمره) بعد معاناة قصيرة مع المرض النفسى .. انتحر هذا الأخ فى الجدول ..

لكن الأحزان تنتهى .. ومهما حدث لابد من نقطة تتوقف عندها العواطف وتبدأ الحقائق ..

انتحيت به جانبًا بين أشجار (الـلارك) المحيطة بداره ، وقلت له إننى أوافق بكل سرور على ما طلبه منى لأننى أرى الوقت مناسبًا كى أكون بجواره ..

وهنا أثار رد فعله ذهولى ...

لم يبد على علم إطلاقًا بما أتحدث عنه .. كأننى لم أتفق معه على شىء .. ثم تركنى وفرّ عائدًا إلى داره وسط نظراتى الحيرى .

ماذا دهاه ؟

ما سرّ هذا التبدل الذى جعله شاردًا غريب الأطوار ؟..
بل وأن جزءًا من مؤخرة رأسه قد صار عاريًا من الشعر تمامًا الأمر الذى أكد لى أنه يعانى توترًا قاتلاً ......

هل هو يخدعنى ؟.. هل أحس بأنه تسرع فى عرضه ؟.. أم هو ضحية صدمة عصبية تلت وفاة أخيه ؟..

ما رأيك فى هذا التصرف الشاذ عزيزتى (مارليز) ؟

بإخلاص (إتريكه) ـ (موندهاوزه)

★ ★ ★

عزيزتى (إتريكه) :

حاولت أن ألخص خطابك للقراء نظرًا لطوله المفرط .. ودعينى أؤكد لك أننى شعرت بأسى بالغ من أجل حلمك الوليد ، لكننى لا أدرى السر لحقيقى وراء هذا التجاهل ...

وإن كنت أميل للاعتقاد أنها حال طارئة تلت وفاة الأخ ، فإما أنها نوع من النسيان الهستيرى يحاول بها أن يمحو آلامه ، وإما هو يعرف أن أخاه انتحر لأنه

يحبك ـ هذا احتمال وارد .. ألم تفكرى فيه ؟ ـ ولعبت عقدة الذنب دورها ...

لا شىء أنصحك بعمله ...

كل ما عليك هو الانتظار ..

فإما أن يبرأ من ألمه ويعود لك دامعًا طالبًا الغفران ، وإما أن يرحل للأبد وينتهى هذا الفصل من حياتك ، عندئذ يا صغيرتى دعينى أصارحك بأنك بعد شابة وجميلة (كما تقولين إنهم يقولون) . ولم تحن قيامة العالم بعد ...

هناك آخرون ينتظرون فى الصف ، فلم لا تعطينهم فرصة ؟!

(مارليز)

★ ★ ★

- ٣ -

من ملفات د. (هوفمايشتز) الطبية :

الاسم : (هاينز شمارت) .

السن : ٢٥ عامًا .

المهنة : رسام .

الرقم : ٤١٨٣٤ - ب .

الشكوى : نقص فى الوزن - تساقط شعر الرأس - توتر عام .

الفحص : يعانى الشاب من نقص مطرد فى الوزن (حوالى ٢ كجم) فى الأسبوع مع شهية طيبة للطعام .

يوجد تساقط للشعر فى مؤخرة الرأس - الجلد سليم تمامًا فلا ندوب ولا التهابات ولا قشور (فقدان شعر منطقى ؟) - الجزء الذى تساقط عنه الشعر يشبه دائرة كاملة الاستدارة .

الفحص المخبرى : لا فطريات فى فروة الرأس - تحليل السكر سلبى - هرمونات الغدة الدرقية عادية - لا طفيليات(*) . . .

(*) لو حدث هذا اليوم لكان تحليل (الإيدز) ضروريًا لحالة مريبة كهذه .

التشخيص :

إنها لحالة محيرة ، وإننى لأميل لاعتبارها ناجمة عن فرط التوتر الذى تلا وفاة أخيه (بيتر) .. لقد كان (بيتر) هو الآخر غير مستقر نفسيًا وكانت له هلاوس عدة .. وأعتقد أن هذا هو ما حدث مع (هاينز) .

من الواجب هنا أن أذكر أن (هاينز) لم يبد أدنى استعداد للتعاون ، وأننى قمت بفحصه قسرًا بناءً على طلب أبويه اللذين أقلقهما تدهور صحته وميله للانعزال ومشاجراته المستمرة مع (إيرين) شقيقته الصغيرة (١٠ أعوام) .

لهذا كله أوثر أن أسمى الحالة (اكتئاب تفاعلى حاد) .

العلاج :

مضاد اكتئاب حلقى ثلاثى إلى أن تتضح الصورة أكثر .

* * *

صفحات من مجلة (موندهاوزه) :

لما كانت مجلتنا معنية بكل جديد فى قرية (موندهاوزه) - باعتبارها مجلة محلية يصدرها نادى شباب القرية - فإننا فخورون بأن نقدم لكم ضيفًا جاء قريتنا منذ أيام بعد ما شارك فى أحد مؤتمرات الصحة العالمية فى (جنيف) ، وهو البروفسير (رفعت إسماعيل) ،

مصرى آت إلينا من أرض النيل والأهرام ، فى وطنه يقوم بتدريس أمراض الدم لطلاب الطب ، وقارئ ممتاز ، ويملك خبرة لا بأس بها بعالم ما وراء الطبيعة « كما قال البروفسير (شوندر) عنه » .. فهو الرجل الذى يزعمون أنه واجه لعنة الفراعنة و (الزومبى) ووحش (لوخ نس) ويعرف الكثير عن حقيقة (الياتى) ومذءوبى (رومانيا) ..

ولما كانت قريتنا قد جابهت حادث النيزك الغامض منذ أيام معدودة ـ مع ما يحمله ذلك من احتمال وجود طبق طائر أو شىء من هذا القبيل ـ فإننا طلبنا من د . (رفعت) أن يكتب لنا مقالاً عن رؤيته الخاصة للاحداث واحتمالات قدوم سكان من عوالم أخرى ، فكان هذا المقال الذى ترجمه من الإنجليزية إلى الألمانية البروفسير(شوندر) بنفسه :

طلبت منى مجلة (موندهاوزه) ـ مشكورة ـ أن أبدى آرائى فى أمور لا أعتقد أننى خير من يتحدث عنها ، لكن الطلب أثلج صدرى وأرغمنى على أن يكون لى رأى فى أمر لم يشغل بالى قط .

ونظرًا لأننى لا أجيد من الألمانية سوى ست كلمات وجملة واحدة هى : كاين دويتش (لا أتكلم الألمانية) !،

فإننى كتبت ما أريد قوله بالإنجليزية على أن يترجم هذا فيما بعد .

سألنى محررو المجلة الكرام عن رأيى فى وجود زائرين من عوالم أخرى ، وقد شعرت بأنهم يتوقعون أن أقول : نعم ، وأبدأ فى سرد قصص ممتعة للغاية حدثت لى شخصيًا . .

الواقع أننى سأخيب أملهم .. فأنا لا أعتقد فى وجود شىء ما . وأثق تمامًا بأننا منفردون معزولون فى هذا الكون اللامتناهى .

ما هى حجتى فى هذا التصريح المتعسف ؟..

أولاً : لم تنجح كل محاولات المراقبة السمعية للفضاء ـ بكل الأجهزة الضخمة المتاحة ـ فى اكتشاف إرسال لاسلكى يشتبه فى كونه ذا أصل اصطناعى .

ثانيًا : يرى عالم الفضاء الروسى (شكلوفسكى) أنه ما دامت هناك فترات نشوء متباينة فى الكون فمن المحتم أن تسبقنا حضارات عدة تكون بالنسبة لنا (عليا) ، ومن المحتم أن تتأخر عنا حضارات أخرى ، الحضارات المتأخرة لن تتصل بنا .. أما الحضارات المتقدمة فبالتأكيد وصل بعضها إلى تقنيات عالية وأساليب راقية لاستخدام الطاقة ، مما يجعل اتصالها بنا أكيدًا ..

لكن هذه الحضارات العليا لم تتصل بنا بعد .. إذن لا توجد حضارات عليا ، وبالتالى فلا حضارات على الإطلاق .

إننى أومن بهذا المنطق تمامًا .

ثالثًا : أنا أعرف أن الفضاء غنى جدًا بالكربون ـ أساس الجزيئات الحية ـ وأعرف أن الغازات ما بين المجرات تخلق فيها جزيئات عضوية معقدة ، لكن هذا لا يعنى وجود حياة .. بل يعنى أن تكوين كوكب من سحابات الغاز هذه يؤدى إلى هدم هذه الجزيئات المعقدة ، وهذا يعنى أن الجزيئات العضوية توجد فى الفضاء لكن ليس على سطح الكواكب وهذا دليل آخر .

أنا أتمنى أن نقابل كائنات الفضاء فى حياتنا ، لكنى أرفض تمامًا أن نضيع الوقت والمال بحثًا عنها ... إذا كانت هذه الكائنات هنالك فلتأت وإلا فلتدعنا مع مشاكلنا العتيقة المعروفة : المرض .. الفقر .. الجوع .. الطغيان ...

* * *

عدد تال من نفس المجلة :

بريد القراء :

(س . ر . ك) : إننى أعتبر نفسى من قراء مجلتكم

المدمنين . إلا أننى فى عدد سابق قرأت مقالاً يدل على الغباء عن سكان الكواكب الأخرى ، كتبه شخص يتظاهر بأنه لا بأس به .

وإننى لأرجو أن تتوخى المجلة الحرص فيما تكتبه وتنشره بعد ذلك لأن أمثال هذا المتعصب يقللون من أرقام التوزيع إلى حد لا يصدق ، ويبلبلون الفكر بعدوى من عقولهم المريضة المحرومة من ملكة الخيال .

* * *

قصاصة من إحدى الصحف :

النشرة الجوية :

تتزايد برودة الطقس بشكل مطرد وتهطل أمطار جليدية على شمال البلاد حيث تنخفض الحرارة إلى عشرين درجة تحت الصفر . ومن المحتم أن يؤدى الجليد إلى حصار بعض القرى الجبلية ، أما فى الجنوب فيكون الطقس مطيرًا باردًا . لهذا نقول لسكان الشمال أن يأخذوا حذرهم وألا يفرطوا فى التفاؤل !..

* * *

ركن (طبيبك) بمجلة (جينجفارت) :

● (ملدريد إ .) قارئة من إحدى الضواحى لاحظت أن شقيقتها قد فقدت الكثير من وزنها فى الآونة الأخيرة ، وتقول إن هناك جزءًا عاريًا من الشعر فى



لاحظت أن شقيقتها قد فقدت الكثير من وزنها فى الآونة الأخيرة ، وتقول إن هناك جزءًا عاريًا من الشعرة فى مؤخرة رأسها ..

مؤخرة رأسها .. وإن هذا الجزء يشبه دائرة كاملة الإستدارة . وتقول إن شقيقتها تأبى إجراء فحوص طبية أو حتى السماح لطبيب بأن يراها . وفى النهاية تتساءل (ملدريد) ما إذا كان هذا المرض معديًا ، وما هى احتمالات إصابتها هى به ؟ كما تتساءل عما إذا كان امتلاك أسرتها لثلاث قطط وكلب له دور فى هذا ؟

البروفسير (إ. هوزه) أخصائى الأمراض الجلدية يجيب قائلاً :

ربما كان هذا نوعًا من (فقدان الشعر المنطقى) مصاحبًا لتوتر أو إرهاق عام ، وربما كان نوعًا من العدوى الفطرية للشعر . وفى كل الحالات لا يمكن أن نقرر قابلية العدوى ـ والشفاء ـ دون أن نرى رأس شقيقتك المتصلب . حاولى إقناعها بأخذ رأى أحد الأطباء الموثوق برأيهم .

● (هنكل و.) من نفس الضاحية يلاحظ تبدلاً غير عادى فى طباع صديقه الوحيد ، ويخشى أنْ يكون قد سقط فريسة عقار (إل إس دى) الذى قرأ عنه كثيرًا .

الدكتور (شوستر) من (بازل) استشارى الأمراض النفسية يقول :

أنت لم تحدد لنا ما تعنيه بتبدل الطباع . إن عقار (إل إس دى) ـ أو (ليزرجيك أسيد داى إيثيل أميد) ـ

ليس هو المخدر الوحيد فى العالم حتى تتهمه ، فضلاً عن أن الشباب فى (سويسرا) لا يعرفه لحسن الحظ .

وعلى كل حال ثمة أمراض عديدة قد تتداخل علاماتها مع أنواع المخدرات ، ولكم من مرة قبض البوليس على مخمور يترنح ثم اتضح بعد ذلك أنه مصاب بغيبوبة نقص السكر .

نحن لا نريد أن نظلم أحدًا . يمكنك أن تحضره لمقابلتى فى (بازل) وعندئذ نستطيع وضع النقط على الحروف .

* * *

منشور من بلدية (موندهاوزه) للسكان :

نظرًا لسقوط الثلوج بكثرة فى الأيام الثلاثة السابقة ، صارت مغادرة القرية متعذرة ، لكن الاتصال الهاتفى سليم ويمكن لخدمات الهاتف والبرق أن تستمر طيلة فترة الحصار .

نحن بحاجة إلى متطوعين يعاونون فى إزالة الثلوج من الطرقات الرئيسية ، ونهيب بالأهالى ألا يقلقوا لأن الحصار لن يستمر أكثر من أسبوع حتى يذوب الجليد أو تأتى الكاسحات أيهما أسرع .

إن لدينا ما يكفى من المؤن والوقود . ويمكن لمن يحتاج إلى أخشاب أن يحصل على حاجته من مخزن البلدية .

* * *

تلغراف إلى (بازل) :

حبيبتى ..

لا تقلقى (قف) اضطرتنا ظروف المناخ إلى إطالة إقامتنا فى (موندهاوزه) (قف) معى ضيوفى (قف) سنعود بعد أسبوع .

زوجك (فريدى)

* * *

صورة غريبة جدًا للثلوج تحاصر النوافذ كأننا فى (سيبيريا) .. لقد بلغ ارتفاع الجليد مترًا ونصف المتر ..

تجمد الماء فى المواسير فكان علينا إذابته بالمشاعل لنحصل على حاجتنا منه .. واضطر الأهالى ـ كما ترى فى الصورة ـ إلى حفر أنفاق أمام أبواب ديارهم ليتمكنوا من الخروج والدخول ..

الواقع أن كل شىء فى الجو كان يروق لحيوانات (الرنة) وكلاب (الهكسى) و (بابا نويل) .. لكنه ـ حتمًا ـ لا يروق لعجوز مثلى يرتدى الجوارب الصوفية حتى منتصف (مايو) فى مصر !

* * *

من مذكرات د. (هوفمايشتر) :

هل هو وباء ؟

أشعر بريبة مما أراه لكنه حقيقي .. إن هناك عددًا لا بأس به من (حالات تساقط الشعر الدائرى) وفقدان الوزن في الآونة الأخيرة .. وكلهم مراهقون أو شباب ..

إن هذا لعجيب ..

حالة (هاينز) تتكرر باطراد غير عادى ، فما هو التفسير ؟.

لو لم يقولوا إن النيزك الذى كاد يدمر قريتنا كان خاليًا من الإشعاعات لظننت أن ما أراه هو تأثير إشعاعى مُدمر ...

حين تتحسن الظروف الجوية سأبرق إلى (وزارة الصحة) طالبًا رأيهم ، وسأتخذ من الإجراءات ما يلزم لفحص دماء هؤلاء الشباب .. فمن أدرانى أن سرطان الدم لم يتفشَّ فيهم على غرار ما حدث بعد قنبلة (هيروشيما) ؟..

الأكثر غرابة هنا هو التغيير النفسي والاكتئاب الذى أصاب كل هؤلاء .. أنا لا أفهم سببًا له في الواقع ، وأرجو أن أجد من يساعدنى على الفهم ..

★ ★ ★

من مفكرة فرويلاين (مارتا) سكرتيرة (شوندر) :

الأحد ٢ / ٣ :

١ ـ حضور الصلاة فى الكنيسة .

٢ ـ موعد مع د . (هوفمايشتر) فى العيادة بناء على طلبه .

٣ ـ ....

★ ★ ★

تفريغ تسجيل لحوار تم بين البروفسير (شوندر) ود . (رفعت إسماعيل) ود . (هوفمايشتر) ود . (هاتزرايتمان) .

(أصوات جلبة ، صوت أقداح تصطدم ، ضحكات) .

د . (شوندر) : وكما قلت لك من قبل ...

د . (رايتمان) : لماذا تقوم بالتسجيل ؟

د . (هوفمايشتر) : أحتاج إلى مراجعة كل ما سيقال فى هذه الجلسة .. أنا أعرف يا بروفسير (شوندر) : أنك مختصٌ بأمراض الدم فضلًا عن كونك من أبناء قرية (موندهاوزه) ويهمك أمرها ..

د . (شوندر) : هذا صحيح ..

د . (رفعت) : إنه منتم كما يجب أن يكون « قالها بالإنجليزية ، والملاحظ فى هذا التسجيل أن د . (رفعت)

يفهم الألمانية إلى حد ما لكنه عاجز عن استخدامها ، ولهذا لم يكن بحاجة إلى مترجم .. » ..

(صوت ضحكات) ..

د . (رايتمان) : أنت تتكلم كأنها نهاية العالم ..

د . (هوفمايشتر) : أخشى أننى أشعر بذلك فعلاً ..

د . (شوندر) : هلا تحدثت بوضوح أكثر ..

د . (هوفمايشتر) : إن القصة تتعلق إلى حد كبير بحادث سقوط ذلك النيزك الذى لم يسقط قط .. لاحظت حالتين مرضيتين فريدتين فى أسرة واحدة .. أولاً الشاب (بيتر شمارت) .. شاب عادى جدًا فى العشرين من عمره رأى ظاهرة الضوء العجيبة فبدأ حالة من (الانجذاب) غير المبرر نحو رؤيا علوية زعم أنها جاءت ليراها ... بعد ذلك بأيام نجده متوفيًا غارقًا فى الجدول ، وكل شىء يؤكد أنه انتحر ...

د . (رفعت) : هذا ليس مستحيلاً .. لقد شعر أن السماء تناديه أو أى شىء من هذا القبيل .. (بالإنجليزية) .

د . (هوفمايشتر) : لكن القصة لم تنته عند هذا الحد .

د . (شوندر) : هلا كففت عن الاستنتاجات بعض الوقت يا د . (رفعت) حتى نسمع القصة كاملة ؟

د . (هوفمايشتر) : بعد هذا نرى أعراضًا اكتئابية حادة تحاصر شقيقه الأكبر (هاينز) .. إنه يفقد وزنه باستمرار .. وثمة دائرة خاوية من الشعر فى مؤخرة رأسه ..

د . (رايتمان) : وماذا فى ذلك ؟.. إنه التوتر ..

د . (هوفمايشتر) : خطر لى ذلك طبعًا وعالجته بأدوية الاكتئاب والمهدئات على الرغم منه فى الواقع لأنه كان نافرًا من أى علاج أو فحص .. ونسيت الأمر برمته .. إلا أننى بدأت أرى هذه الحالات بشكل أكثر من المعتاد ..

د . (شوندر) : ماذا تعنى ؟.. رأيت نفس الحالة مرارًا ؟

د . (هوفمايشتر) : رأيت ثلاث حالات فى أسبوع واحد .. فهل ترى هذا العدد كافيًا لإثارة الريبة ؟

د . (شوندر) : ونفس رقعة الشعر المستديرة ؟

د . (هوفمايشتر) : بالتأكيد ...

د . (رايتمان) : لكن هذا يؤكد وجود نوع من العدوى .

د . (شوندر) : لم يسمع أحدنا عن وباء يحدث نفس الأعراض .. وفى نفس الموضع ..

د . (رفعت) : ما هو احتمال أن تكون مصادفة ؟

د . (هوفمايشتر) : لست خبيرًا رياضيًا .. لكن احتمال تكرار هذه الصورة فى هذه القرية لابد أنه لا يتجاوز واحدًا فى البليون ...

د . (رفعت) : وهذا هو ما يحيرك ؟

د . (هوفمايشتر) : نحن معزولون فى القرية وأنا المسئول الوحيد عن صحة أهلها ، وهى مسئولية ثقيلة جدًا .. أثقل من أن أحتملها وحدى .. لابد من رأى آخر معى ...

د . (شوندر) : ولكن ماذا يثير توترك إلى هذا الحد ؟ هل ثمة خطر مباشر على هؤلاء ؟

د . (هوفمايشتر) : لا أستطيع استبعاد هذا ..

د . (شوندر) : آه .. أنت تفكر فى (هيروشيما) أو شىء كهذا .

د . (هوفمايشتر) : هذا وارد ...

د . (رايتمان) : إذا سمحتم لى .. لماذا نفترض وجود علاقة مباشرة لما يحدث بسقوط النيزك ؟

د . (هوفمايشتر) : لأن حدوث ظاهرتين غريبتين منفصلتين فى شهر واحد أمر لم يألفه البشر حسب نواميسهم ..

د . (شوندر) : إذن فلنرتب أفكارنا .. الاحتمال الأول هو احتمال وجود إشعاعات غامضة خرجت من النيزك ..

د . (رايتمان) : الاحتمال الثانى هو احتمال حدوث وباء جاء به النيزك أو لم يجئ به .. سيان ...

د . (رفعت) : الاحتمال الثالث هو حدوث مصادفة أدت لاحتشاد عدة حالات غامضة لكل منها تفسير خاص بها ..

د . (شوندر) : قوانين الاحتمالات تنفى هذا الاحتمال ..

د . (رايتمان) : الاحتمال الرابع هو أن هناك غزوًا ما قد حدث لأجساد هؤلاء الضحايا ..

د . (شوندر) : غزوًا ممن ؟.. تعنى كائنات غير مرئية ؟

د . (رايتمان) : لِمَ لا ..؟.. إن تغير الشخصية يُعزى – منذ فجر التاريخ – إلى مسّ شيطانى ، وهذا المس يحدث علامةً ما فى جسد الضحية .. لِمَ لا نعيد إحياء هذا المعتقد الآن ؟..

د . (رفعت) : إن هذا الاعتقاد عسير الهضم ..

د . (هوفمايشتر) : الحق يا سادة أن هذا ما يقلقنى ..

د . (شوندر) : ماذا تعنى ؟..

د . (هوفمايشتر) : ثمة دلائل معينة توحى لى أن هؤلاء الأشخاص لم يتغيروا بالمعنى الحرفى .. أحيانًا يخيل إلى أنهم لم يعودوا هم .. كأنهم صاروا آخرين !

....

(صوت شهقة ذعر .. صوت قدح يتهشم ..) ..

★ ★ ★

ركن جراح القلوب بمجلة (جينجنفارت) :

عزيزتى (مارليز) :

كتبت لك منذ أيام أحكى لك قصة فتاى الذى وعدنى بالزواج ثم حدث له تغير مريب فى شخصيته بعد وفاة أخيه الصغير ، مما جعله ينكرنى تمامًا بل ويفرّ منى فرار السليم من المجذوم ...

قرأت ردك وراق لى كثيرًا واخترت أن أنتظر علّه يشفى من العاصفة التى هزّت عالمه ويعود لى ..

بالفعل عاد .. لكن عودته كانت أكثر غرابة من رحيله ..

أسكن أنا وأسرتى فى بيت من طابقين عند أطراف قريتى ، وكانت السيول الثلجية قد غمرت البلدة حتى ارتفع الجليد محاصرًا الديار جميعًا ..

وكنا نمضى وقتنا فى البيت بين جلوس حول المدفأة نقرأ .. أو نستمع إلى المذياع .. أو أحاول الرسم بألوان (الباستيل) التى علمنى هو استخدامها يومًا ما ..

وفى تلك الليلة صعدت إلى غرفتى بالطابق الثانى فشرعت أصغى إلى موسيقا (الروك) وأحاول تطريز (بول أوفر) يناسبه لو جاء لى يومًا عائدًا نادمًا ...

وهنا سمعت طرقات على زجاج النافذة فأجفلت ..

إن نافذتى - كما قلت - تقع فى الطابق الثانى ، وبالطبع لم يرتفع الجليد إلى هذا الحد .. فمن الذى يقرع الزجاج إذن ؟

نهضت فى توجس إلى النافذة التى احتشد الجليد على إطارها السفلى فرأيت وجهه هو !.. هو بالذات وهو يلهث بردًا وإعياءً وقد ارتدى قلنسوة من الفراء ..

وبصعوبة أدركت أنه متعلق بماسورة الصرف بيده الأخرى .. فتحت المزلاج فى عصبية فانساب الثلج والهواء البارد إلى الداخل وعلى السجادة تكونت قطرات ماء من قطع الجليد الدقيقة التى ذابت هناك ..

ورأيته يستجمع قواه حتى حشر جسده فى الإطار ثم وثب إلى الداخل ليتكوّم على الارض ..

سألته فى لوعة ورعب عما جاء به هاهنا ، فقال وهو يرتجف إنه كان بحاجة إلى الانفراد بى ليخبرنى بشىء هام ..

ساعدته على خلع معطفه والجلوس جوار المدفأة وشرعت بفرشاة خشنة أزيل الجليد عن كتفيه وخصلات شعره ..

فما إن استعاد روعه حتى قال إننا يجب أن نرحل معًا وألا يعرف أحد برحيلنا .. كيف ؟ من النافذة طبعًا !..



ورأيته يستجمع قواه حتى حشر جسده فى الإطار ثم وثب إلى الداخل ليتكوم على الأرض ..

هنا ـ أصارحك عزيزتى (مارليز) ـ تحركت فى أعماقى نشوة الأنثى وفخارها .. فها هو ذا حبيبى قد تجشم المخاطر من أجل أن يصل إلى ، وهوذا يدعونى إلى مغامرة صغيرة من النوع الذى يحدث للأخريات فقط ..

فهل أرفض دعوته ؟..

لقد كانت لقلبى الكلمة العليا على عقلى .. فتدثرت فى معطف ثقيل ووضعت على رأسى غطاء ثقيلاً ثم تسلقت النافذة بمعاونته وشرعت أنحدر بحذر على الماسورة بعدما واربت النافذة طبعًا ..

لم يكن الأمر صعبًا ـ وهذا لا يقلل مخاطرة فتاى ـ لأن الجليد كان مرتفعًا حتى أن السقوط من النافذة لم يكن يعنى سوى ارتفاع ثلاثة أمتار لو حدث ...

وعلى الثلوج شعرت به يمسك يدى ويقودنى فى الظلام إلى ... إلى الغابة المظلمة الباردة حيث تقف أشجار (اللارك) كنواطير أسطورية تراقب المكان ، وتخيف من تسول له نفسه الاقتراب .. سرنا بضع دقائق وهو صامت .. صامت ..

وفجأة استدار لى وهمس . إنه يعتذر على كل ما بدر منه من تجاهل لى فى الآونة الأخيرة .. قال لى إن إرادته سلبت يوم مات أخوه .. قال لى إننى الأولى والأخيرة .. قال لى إننى رفيقة دربه و .... و ......

إن الانبهار لمعدٍ .. ولقد كنت أسمع أنفاسه المبهورة فأشعر بأنفاسى هى الأخرى تتقطع .. وفى عينيه كان ذلك النداء الذى أغرق الفئران فى النهر فى قصة الأخوين (جريم) ..

قال لى إن له عددًا من الأصدقاء يريد منى أن أتعرفهم ..

وإن هناك الكثير مما يمكن أن نقوم به معًا لو أننى صرت واحدة منهم .

وهنا رأيت ظلالاً وأشخاصًا يدنون منا فوق الجليد ..

إننى أعرف هؤلاء .. كلهم من قريتى ....

كانو يبتسمون .. أربعة شبان وفتاتان ....

ابتسمت لهم فى حرج – فلم أتوقع أن يرونا فى هذه الخلوة – لكنهم لم يبتسموا .. الظلال تغمر ملامحهم والظلام يغلف سماتهم ..

دنوا منا أكثر ولمحت عيونهم تلتمع ..

كان شىء ما غير مريح فى ملامحهم .. بالواقع لم يكن أى شىء مريحًا فى ملامحهم ... وسمعت إحداهن تقول لى :

« هلمى يا (إتريكه) .. كونى واحدة منا .. » .

وابتسمتْ أكثر ..

سألتها فى حيرة وأنا أتخذ من إحدى الأشجار واقيًا لظهرى :

– « أنتم ؟.. من أنتم ؟ » .

– « نحن .. الغرباء ! » .

دوّى صوتها البارد فى الظلام فشعرت برأسى يدور ..

امتدت يد فتاى إلى يدى ، وشعرت بضغطة ملأى بالرفق والمودة .. وسمعته يغمغم :

– « لا تخشى شيئًا يا (إتريكه) ما دمت أنا معك .. » .

وفى يده لمحت زجاجة صغيرة مغلقة أزال سدادتها وقربها من فمى فى رقة وهو يهمس بصوت كالفحيح جمّد تعاريج مخى :

– « هيا .. إشربى من هذا .. » .

– « لكن .. » .

– « هلمى يا (إتريكه) .. كونى واحدة منا .. » .

وفجأة تعالى نوع من الهتاف الخفيف .. بدأ كالفحيح من حناجر الجميع ثم بدأ يتعالى ببطء .. ببطء .. حتى صار أقرب إلى الهمس المسموع .. كانوا يرددون اسمى مرارًا وتكرارًا بطريقة هى أقرب إلى التنويم المغناطيسى ..

– « (إتريكه) ..!.. (إتريكه) ! » .

– « لكنى لا أريد ..! » .

ـ « (إتريكه) ..!.. (إتريكه) ! » .
ـ « أنا لا أشـ ...... » .
ـ « (إتريكه) ..!.. (إتريكه) ! » .
ولمحت فتاة من الفتاتين تدور حولى فى دوائر متصلة آتية بحركات راقصة بطيئة .. إنه جزء من ذات التنويم المغناطيسى .
ـ « (إتريكه) ..!.. (إتريكه) ! » .
ولمحت مؤخر رأسها .. كان هناك جزء خال من الشعر تمامًا على شكل دائرة !.. مثلها .. مثل فتاى .. فما معنى هذا ؟
انتابنى الذعر وشعرت بأننى فريسة تشكيل عصابى من نوع ما .. استجمعت قواى ووجهت للفتاة دفعة قوية فسقطت أرضًا .. كانت تضحك !..
المفزع أنها كانت تضحك برغم سقطتها !..
اندفعت أركض مذعورة فوق الثلوج .. أتعثر .. أنهض .. أنزلق .. أبكى .. تتجمد الدموع على خدى ..
لكننى ـ من ورائى ـ كنت أسمع صوت ضحكاتهم الساخرة .. أسمعها حتى خرجت من الغابة ووصلت لدارى .. وتسلقت ماسورة المياه عائدة إلى حجرتى حيث ظللت أرتجف وأبكى برهة ...

والآن .. أستحلفك بالله يا (مارليز) أن تقولى لى حقيقة ما حدث ، وكيف أتجنب هذا الموقف المريع ...
لم أعد أريده .. إننى أمقته ..
لكننى ـ فقط ـ أعيش فى رعب من أن أسمع مرة أخرى صوت الطرقات على زجاج نافذتى .
بإخلاص : (إتريكه) ـ (موندهاوزه)

★ ★ ★

وصل هذا الخطاب إلى المجلة بعد أسبوعين بسبب ظروف الطقس وتعطل الخدمة البريدية .
وحين وصل .. كان رد (مارليز) ـ محررة الباب ـ كما يلى :
عزيزتى (إتريكه) :
قرأت مشكلتك ببالغ الأسى والعطف على اللحظات المريرة التى مررت بها دون داع فى الواقع ..
أنا أرى ـ دون تزويق ـ أن ما مررت به لهو دعابة قاسية قام بها أشخاص لا خلاق لهم ، وإن موضة (الهيبز) الحالية ومنكرات زعمائهم التى تنتشر فى كل موضع باعتبارهم أبطال العصر لهى السبب فى كل ما يحدث لشبابنا من تخريب ..
وسأقدم لك نصيحتى دون إبطاء ..
أولاً : لقد انتهى أمر خطيبك هذا تمامًا ولن نعود إلى هذا ..

ثانيًا : يجب إبلاغ الشرطة بأسماء هذه العصابة ..
ثالثًا : يجب إبلاغ أبويك ..
رابعًا : يجب أن تجدى غرفة أخرى فى المنزل حتى ولو كان الجليد قد ذاب فى (موندهاوزه) ..
هذا هو رأيى يا (إنريكه) ولا تحاولى المساومة فيه لأنه نابع من ضميرى وقناعاتى ..
اكتبى لى باستمرار .

(مارليز)

* * *

قائمة مبيعات متجر (شلوندرف) الاثنين ٣ / ٣ :

....

....

قلنسوة صوفية عدد : ٦ السعر : ٦ × ١٢ فرنك
خنجر من الصلب الممتاز عدد : ٧ السعر : ٧ × ١٠ فرنك

....

* * *

إشارة هاتفية فى مركز الشرطة :

اليوم ٤ مارس ـ الساعة ٤٠ : ٨ :
العثور على جثة فى منزل (ستورلى) . انتقلت سيارة الشرطة إلى هناك للتحرى .

* * *

التقرير الذى كتبه المفتش (شيبرت) عن الحادث :

بناء على مكالمة هاتفية من (ماكس ستورلى) مزارع من أبناء القرية ، انتقلنا إلى منزله المكون من طابقين عند أطراف الناحية ، وقد استغرق الأمر ساعة بسبب الجليد الذى يسد الدروب حتى أننا اضطررنا لأن نترجل .

وفى المنزل المذكور وجدنا ابنة المزارع البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا (إنريكه ستورلى) جثة هامدة فى حجرتها بالطابق العلوى ..

وكانت هناك آثار طعنات فى جسدها وقد تناثرت الدماء على جدران الحجرة ، كما كانت هناك آثار معركة فى المكان .

وقد تبين لنا أن نافذة الحجرة مفتوحة حتى أن الفراش كان مغطى بندف الثلج التى لم يذب بعضها ، والتى تسربت عبر النافذة . مما أكد لنا أن مرتكب الفعلة قد دخل من هذا الموضع .

ونظرًا لعدم وجود رجال معمل جنائى ، فإننا حرصنا على إبقاء الحجرة على ما هى عليه حتى لا تتلف أية بصمات أو آثار .

وقمنا بانتداب طبيب القرية د . (فولب هوفمايشتر) لفحص الجثة توطئة لدفنها حيث إن استدعاء المشرح

العلى كان مستحيلاً . وقد قام د . (هوفمايشتر) بفحص الجثة وأكد أنها توفيت نتيجة طعنات بأداة حادة كالخنجر ، وعدد الطعنات هو أربع منها اثنتان فى منطقة القلب والرئة كانتا سبب الوفاة الأساسى .

ولم يتبين د . (هوفمايشتر) الوقت الذى حدثت فيه الوفاة لأنه لا يملك الخبرة الكافية لهذا كما قال .

وباستجواب الأب الذى كان مُنهارًا تمامًا ، قال لنا إنه لم يسمع صراخًا أو أية جلبة لأن غرف داره غير منفذه للصوت . وقال إن ابنته كانت تمضى الأيام الأخيرة فى الدار مع الأسرة حتى إذا جاء الليل صعدت لغرفتها تتسلى بالتطريز وتستمع لموسيقا (الروك) الصاخبة ، العامل الثانى الذى منعه من سماع صوت مريب حيث جلس مع امرأته فى غرفة المعيشة حتى ساعة متأخرة من الليل ، ثم ذهبا لحجرتهما فناما حتى الصباح .

وفى السادسة صباحًا ذهبت الأم لتوقظ ابنتها كعادتها حين وجدت المشهد الشنيع الذى أسلفنا ذكره .

والفراو (ستورلى) حاليًا فى حالة تخدير دائم بالعقاقير المهدئة فى محاولة لشفائها من الانهيار العصبى الذى داهمها .

ويؤكد الأب أن ابنته لم يكن لها أعداء أو صداقات

غامضة وأنها كانت شبه مخطوبة للشاب (هاينز شمارت) من أبناء القرية .

فيما عدا ذلك لا يوجد ما يريب فى قصة حياتها .

تحفظنا على الجثة ولم نسمح بدفنها إلى أن تُنقل إلى إدارة الطب الشرعى بعد انتهاء العاصفة .

نواصل التحريات مع من كانت له علاقة بالفتاة .

* * *

بلاغ إلى الشرطة من حارس المقبرة :

فى ليلة الثلاثاء ٣ مارس ، سمعت أنا (هيرمان ماشتمان) جلبة قادمة من المقبرة .. الفناء الخلفى الذى تأكدت من غلقه ..

لهذا غادرت دارى حاملاً مشعلاً ، وسرت ـ برغم الثلوج الكثيفة ـ بين شواهد القبور التى غطاها الجليد . وقد وجدت شيئًا مريبًا هو أن قبر الفتى (بيتر شمارت) الذى توفى غرقًا من فترة قصيرة ، وجدت هذا القبر مفتوحًا وقد نبشته يد ما .. أو هذا ما ظننته ..

لم تكن هناك آثار أقدام فوق طبقة الجليد السميكة ، كما لم أر أحدًا يتسلل فى المكان ، وبالتالى لا أملك تفسيرًا لما حدث .

س ـ هل تعتقد أن الجثة قد اختفت من نعشها ؟

جـ ـ لست واثقًا لكنى أعتقد أن لا .. إن نابش القبور هذا لم يجد الوقت الكافى كى يكمل عمله ..

س ـ ما هو تفسيرك لعدم وجود آثار أقدام حول القبر ؟

جـ ـ قلت اننى لا أملك تفسيرًا ..

س ـ هل تعتقد أن الجليد المتساقط أخفى الأثر ؟

جـ ـ لم يكن الجليد يتساقط وقتها ....

س ـ إذن ماذا تعنى ؟

جـ ـ أعرف أن هذا هراء .. لكن يخيل إلىّ كأن ... كأن شيئًا داخل المقبرة كان يحاول الخروج منها !

* * *

ـ ٥ ـ

تقرير كتبه البروفسير (شونذر) :

بناء على طلب غير رسمى من د . (هوفمايشتر) ، توجهت أنا وضيفاى ـ د . (هانز رايتمان) والمصرى د . (إسماعيل) ـ إلى دار الشاب (هاينز شمارت) الذى يؤكد د . (هوفمايشتر) أنه أول حالة صادفها من حالات (الوباء) ـ إذا كنا سنعتبره كذلك ـ الذى داهم القرية فى الأيام القليلة الماضية .

كانت مهمتنا محددة فى خمس نقاط أساسية :

١ ـ هل ما يحدث جزء من وباء ؟

٢ ـ إذا كان وباء فهل هو وباء معروف ؟

٣ ـ هل ما يحدث نتيجة إشعاعات معينة ؟

٤ ـ هل تشترك كل الحالات في نفس الصورة حقًا ؟

٥ ـ يجب توصيف الصورة بدقة وعناية .

ولما كانت الأبحاث المعملية غير متاحة فإننا سنعتمد بشكل مطلق على حاستنا الإكلينيكية وعلى تقديرنا للأمور .

ذهبنا إلى البيت فقابلنا والداه ، وعرفنا منهما أنه صار انعزاليًا إلى حد غير عادى ، وأنه صار ينام النهار بطوله ويصحو ليلا . وعرفنا أنه يغادر الدار ليلا ـ خلسة ـ فى جولات ليلية لا يدريان كنهها لكنهما يدركان حدوثها كلما وجدا الفراش خاليًا بطريق الصدفة .

قالت لنا شقيقته (إيرين) إنه صار عصبيًا دائم الشجار معها على غير عادته ، وإنه لا ينفك يتحدث عن (الغرباء) وعن حادث النيزك . وقالت إنها ذات الكلمات التي كان يستعملها أخوها المرحوم (بيتر) قبل وفاته . لكنها نفت بإصرار أن يكون (بيتر) قد أصيب بفقدان شعر فى مؤخرة الرأس ..

كنا على وشك الصعود لغرفة الفتى حين وصل رجلان من رجال الشرطة ، أحدهما المفتش (شبيرت) الذى تمت أمه بصلة قربى لأبى . وقد كان مسلك الرجلين مهذبًا ومتحفظًا ـ برغم أنهما لم ينزعا معطفيهما ـ وبدا لي أنهما يداريان شيئًا ، ثم ـ بعد لأى ـ قالا إنهما جاءا بخبر غير سار .. لقد وجدت خطيبة (هاينز) صريعة فى ظروف أقل ما يقال عنها إنها مروعة .

وتبين لى أنهما جاءا غارقين فى الشكوك بخصوص (هاينز) .. ولم لا ؟..

فحين تموت الزوجة يكون زوجها هو القاتل حتى يثبت العكس .. وحين تموت الخطيبة يكون خطيبها هو المتهم الأول خاصة إذا كانت علاقتهما على غير ما يُرام فى الآونة الأخيرة ، وإذا كان الخطيب غريب الأطوار كما يؤكد الجميع ...

طلب رجلا الشرطة الصعود إلى (هاينز) ليسألاه السؤال التقليدى فى هذه الأمور : أين كنت فى ليلة ٣ مارس ؟.. هل يمكنك إثبات ذلك ؟... هل هناك خلافات بينك وبين القتيلة ؟

اقترح د . (رفعت) أن نؤجل فحص الفتى إلى ما بعد الاستجواب .. لكن المفتش (شبيرت) رأى من الحكمة أن نكون معه لنبدى رأينا الطبى فى حالة الفتى العقلية ...

وصعدنا إلى غرفة (هاينز) فقرع الأب الباب .. وانتظرنا هنيهة .. وهنا سمعنا صوتًا معدنيًا من الداخل يغمغم بعبارات السباب آمرًا من يقرع الباب أن ينصرف ..

لكن الأب أصر على موقفه .. سمعنا جلبة ثم انفتح الباب ببطء كاشفًا عن وجه نحيل ضامر تلتمع عيناه كالذئب .. وازداد توترًا حين رآنا وتراجع للوراء بينما المفتش يسأله عن آخر مرة رأى فيها خطيبته (إتريكه ستورلى) ..

وفى هذه اللحظة صاح د . (رفعت) مشيرًا إلى الحائط .. رأينا صورة فوتوغرافية لفتاة معلقة هناك ، وقد غرست فيها مدية ثبتتها للجدار .. كاد د . (رفعت) ينتزعها ليفحصها .. لكن صيحة تحذير خشنة من المفتش جعلته يتوقف ..

وفى هذه اللحظة صاح د. (رفعت) مشيرًا إلى الحائط .. ورأينا صورة فوتوغرافية لفتاة معلقة هناك ، وقد غرست فيها مدية لتثبتها للجدار ..

وبمنديل لفه حول كفه انتزع المفتش الخنجر ـ لم يكن مدية ـ من الجدار ، ونظر للصورة مؤكدًا أنها صورة (إتريكه) نفسها .. كما لاحظ أن الخنجر ملوث بالدماء ما بين نصله ومقبضه .. وكان هذا أكثر من كاف ..

لهذا ـ حين طلبوا منه أن يتبعهم ـ لم يجادل ولم يتهرب أو ينكر شيئًا .. فقط ارتدى ثيابه ومعطفه فى صمت بينما مساعد المفتش يتلو عليه حقوقه ..

لاحظ د . (رفعت) أن الفتى غير مستقر نفسيًا ويبدو كالمصدومين .. كما أكد أنه لم ير غباء قاتل بلغ هذا الحد المريع .. لماذا يحتفظ بالخنجر فى حجرته ؟ لماذا لم يتخلص منه ؟.. لماذا شوّه صورة الفتاة ؟..

قال د . (رايتمان) إن الفتى أراد أن يُعتقل .. إما لأن ضميره يطلب القصاص ، وإما هو يحاول حماية شخص ما من تهمة القتل ..

لكن المفتش (شبيرت) لم يعبأ بآرائنا على أساس أنها آراء هواة ، وأكد أنه قادر على انتزاع الحقيقة .

لكنه ـ كريمًا ـ دعانا لفحص الفتى بدقة فى المخفر ، وقد أزمعنا أن نفعل ذلك دون إبطاء ..



قصيدة وجدوها بين أوراق المرحوم (يينز شمارت) :

هل حقًا تعرف الكثير عن أى شىء ؟
هل تعرف أقل القليل عن أى شىء ؟
ماذا تعرف عنى ؟
ماذا أعرف عنك ؟
هل حقًا أنا هو أنا .. وأنت هو أنت ؟..
أنت لا تعرف عنى سوى صوتى ، لون عينى ، مشيتى ..
والآراء التى أزعم أنها آرائى ...
وأنا لا أعرف عنك سوى أنك صديقى ..
فهل أنت حقًا صديقى ؟

★ ★ ★

تعليق لـ د. (رايتمان) :

إن هذا الفتى ليعانى من حالة (بارانويا) كلاسيكية ، فهو قد فقد الثقة فيمن حوله وفقد الثقة فى نفسه ..
إن الآخرين يثيرون هلعه ، ويشعرونه بأنهم ليسوا ودودين ظرفاء إلى الحد الذى يتظاهرون به ..

إننى لن أندهش لحظة واحدة لكون هذا الفتى قد انتحر .. لكننى أسائل نفسى عما إذا لم يكن على شىء من الصواب فى اعتقاده .. إن هذا الفتى قد رأى ما يدفعه إلى هذا الخلط .. أشعر بهذا .. بل أنا واثق منه .. وإن الأيام القادمة سوف ...

★ ★ ★

محضر الشرطة الخاص بالفتى (هاينز شمارت) ـ ٢٥ سنة :

س ـ ما هى مهنتك الحالية ؟
جـ ـ رسام إعلانات .. أعمل بالقطعة مع بعض المجلات .
س ـ ما هى علاقتك بـ (إتريكه ستورلى) ..؟
جـ ـ كانت خطيبتى ..
س ـ لماذا تقول كانت ؟
جـ ـ لأنها لم تعد كذلك !
س ـ هل حدثت بينكما مشادة ؟ ومتى ؟
جـ ـ لم يحدث ...
س ـ إذن لماذا انتهت العلاقة ؟
جـ ـ يمكنك أن تسألها ..!
س ـ متى قابلتها آخر مرة ؟
جـ ـ منذ شهور ..

س ـ وأين كنت ليلة الحادث ؟

جـ ـ كنت فى حجرتى بدارى ..

س ـ ماذا كنت تفعل ؟

جـ ـ لا شىء .. قضيت وقتى بين النوم والشرود ..

س ـ إذن ما هى حجة غيابك ؟ من شهودك ؟

جـ ـ لم يرنى أحد أغادر الدار .. ألم تسألوهم ؟

س ـ هذا ليس دليلاً على شىء .. هناك النافذة دائمًا كما تعلم ..

جـ ـ لم أترك آثارًا على الجليد بالتأكيد .. فهل فحصتم ذلك الموضع ؟

س ـ إنك لن تجد صعوبة فى إزالة آثار كهذه .. وعلى كل حال نحن لسنا بانتظار تعليماتك ، نحن من نمسك بزمام الأسئلة هنا .. والسؤال هو : ما تفسيرك لما وجدناه فى حجرتك ؟.. الصورة والخنجر ...

جـ ـ إن هذا التصرف لا يدل على شىء .. قصص الحب الفاشلة تنتهى دومًا بمتزيق صورة أو حرقها .. ولو سألتم عالم نفس لأكد لكم ذلك ، ولأكد لكم كذلك أننى لو كنت قتلتها لكان هذا كافيًا لإفراغ شحنة العنف عندى ، وبالتالى فلا حاجة عندى لتمزيق صورتها وإثارة الشكوك حول ذاتى برغم أننى أول من سيتم استجوابه ...

س ـ توجد آثار دماء على مقبض الخنجر ..

جـ ـ وهل أثبتم أن الدماء دماء الفتاة ؟ لا أظن ..

س ـ أنت تعرف أن هذا متعذر الآن .. لكن الدماء هى الدماء ولابد من أن تفسر لنا وجودها ..

جـ ـ لقد حاولت الانتحار بقطع شرايين معصمى ..

س ـ منذ متى ؟

جـ ـ منذ أسابيع ثلاثة ..

س ـ وهل قام الطبيب بإنقاذك ؟

جـ ـ كلا .. قمت بربط معصمى بنفسى .. لم يكن الجرح بالغًا ..

(وكشف لنا المتهم عن معصمه الأيسر ليرينا ضمادة موضوعة هناك وكانت مختفية تحت سوار كمه ..)

س ـ ولماذا عدلت عن الانتحار ؟

جـ ـ لا أظنك تلومنى على هذا .. ربما خطر لى ما خطر لـ (هاملت) حين خاف الأحلام التى قد تتراءى له إذا ما نام ..

س ـ هل تتعاطى أى نوع من المخدرات ؟

جـ ـ لا ..

س ـ ماذا تعرف عن وفاة أخيك (بيتر) ؟

جـ ـ يا له من سؤال !.. أنت لن تتهمنى بقتله طبعًا ..

س ـ لو فرضنا جدلاً أنه انتحر .. ألا ترى أن حالات الانتحار قد صارت أكثر من اللازم فى بيتكم ؟

جـ ـ لكل منا أسبابه للأسف .. أعتقد أنكم تعرفون أنه كان يعالج نفسيًا منذ فترة ..

س ـ وماذا عن قصائده ؟

جـ ـ قصائده ؟.. إن (بيتر) لم يكتب الشعر فى حياته ..

س ـ هل كنتما غارقين فى حب (إتريكه) أنت و (بيتر) ؟

جـ ـ أعرف خلجات عواطفى فقط ، ولا أعرف خلجات عواطف أخى .. لربما أحبها ولربما لم يفعل ..

س ـ هل كان هذا هو سبب انتحاره ؟

جـ ـ يمكنكم سؤال أخى ...

وقد انتهى التحقيق ، وقمنا باحتجاز المتهم مع السماح للبروفسير (شوندر) وضيوفه بفحصه كما أرادوا وسنقوم بإرفاق تقريرهم مع أوراق التحقيق .

* * *

ملاحظات دونّها مساعد الشرطة (شنايدر) :

قمت بفحص محتويات غرفة القتيلة (إتريكه تورلى) ، وكانت الدماء تغرق المكان لكننا نجحنا فى استنقاذ بعض الأوراق الخاصة والمجلات ، وكانت الأوراق عبارة عن

مراسلات بينها وبين (هاينز شمارت) ، وصيغة الخطابات ودّية إلى حدّ كبير لا تحوى أى دليل على سوء الفهم ، وثمة صورتان لها مع نفس الفتى .

أما المجلات فكانت كما يلى :

١ ـ مجلة مصوّرة للأطفال .

٢ ـ مجلة (جيجنفارت) الخاصة بالشباب .

٣ ـ مجلة نسائية (فرويلاين) .

بالإضافة إلى عشرين شريطًا من شرائط (روك آندرول) لفرق (الهو) و(رولنج ستونز) .

* * *

عودة إلى السرد التقليدى للأحداث

مع د . (رفعت إسماعيل)

ـ ١ ـ

تحية يا رفاق ...

مضيفكم (رفعت إسماعيل) يعود لكم من جديد ليثرثر بالأسلوب التقليدى المعتاد حاكيًا لكم ما مر به من أحداث فى هذه التجربة المروعة ...

قدمت لكم فى الصفحات الماضية سيلاً من قصاصات الصحف والمقالات والصور الشخصية والتقارير وتحقيقات الشرطة ..

وتركت لكم أن تستنتجوا منها ما تحبون دون تدخل منى بأى شكل ، لكنى أشعر ـ فى هذه اللحظة بالذات ـ أننى أرغب فى الكلام .. فى الثرثرة .

إن الصفحات الماضية جعلتنى أشعر بما يحسه العداء الكسيح أو المطرب الأخرس أو الملاكم الأكتع أو الرسام الضرير .. فلم لا أكف عن استعراض العضلات هذا الشبيه بلزوميات (أبى العلاء المعرى) ؟

.. لقد كان الشعراء يكتفون بتماثل آخر حرف فى كل بيت شعر (يسمونه حرف الروى) حتى جاء (أبو العلاء المعرى) فألزم نفسه بتماثل آخر ثلاثة حروف ،

وهو شىء لم يضطره إليه أحد .. هو أحس بضرورة أن يزيد عدد الأصفاد حول قدميه ليظهر براعته أكثر ويستعرض عضلاته أكثر ...

وأنا لست (أبا العلاء المعرى) ...

لهذا ـ اسمحوا لى ـ سأنطلق كعبد بلا أصفاد فوق الصفحات التالية ....

* * *

لقد ألممتم ـ فى الصفحات الماضية ـ بجوانب اللغز الذى قلما يحدث فى حياة قرية سويسرية هادئة مثل (موندهاوزه) .. عرفتم د . (هوفمايشتر) و (هاينز شمارت) والبروفسير (شوندر) .. وعرفتم علامات الاستفهام التى أحاطت بالقصة ...

لكن مفتش الشرطة الأحمق (شبيرت) احتفظ بغروره فلم يشرك معه أحدًا فى تلك المعلومات التى جمعها ، ولولا هذا لاستطاع د . (هوفمايشتر) أن يفند أكثر ما قاله (هاينز) فى اعترافه .. ومنه ـ مثلاً ـ أنه حاول الانتحار منذ ثلاثة أسابيع ..

لقد قام د . (هوفمايشتر) بفحص الفتى منذ فترة قريبة جدًا ، وكانت نتيجة الفحص جازمة : إن معصمى الفتى على ما يرام ، ولم توجد بهما أية جروح ....

ولقد كذب الفتى علينا – حين فحصناه فى خلوة – إذ زعم أن الضمادة حول معصمه هى رباط ضاغط وضعه لألم أحس به فى هذا الموضع ، ولم يكن المفتش معنا لينفى ذلك .

وحين انتزع د . (هوفمايشتر) الضمادة لم نر شيئًا غير عادى هناك ولا حتى ندبة صغيرة ..

لكن المفتش لم يحضر فحصنا ولم يكلف خاطره بسؤالنا عن رأينا ، بل اكتفى بأخذ التقرير الذى كتبه د . (رايتمان) ووضعه فى درج مكتبه دون تعليق ....

على كل حال كان يؤمن – مثلنا – بأن الفتى كاذب ، خاصة وقد تعرف رجاله الخنجر وعرفوا أنه تم شراؤه من متجر (شلوندرف) بسعر عشرة فرنكات يوم الحادث بالضبط .. أى أن الخنجر لم يكن موجودًا عند الفتى منذ ثلاثة أسابيع ليقطع شرايينه .

الغريب هنا أيضًا أن الفتى اشترى سبعة خناجر من ذات المتجر ، وزعم للبائع أن أصدقاء كثيرين له مولعون بنوع الصلب الجيد الذى صنع منه هذا الخنجر ....

فأين ذهبت الخناجر الستة الأخرى ؟

الأمر الثانى الذى لم يصارحنا به المفتش هو ما ذكره الفتى بثقة عن أن أخاه (بيتر) لم يكتب الشعر فى حياته ..

إن القرية كلها تعرف هواية (بيتر) للشعر – الردىء فى الواقع – وتعتبره شاعرها المعتوه .. فكيف لا يعرف (هاينز) هذه الحقيقة عن أخيه ؟

لقد أحس المفتش أن الفتى لا يعرف حقيقة أن (بيتر) يكتب الشعر .. معنى هذا أنه لا يعرف (بيتر) حقًا ...

بعبارة أخرى .. إما أن (هاينز) أصيب بفقدان ذاكرة جزئى ...

وإما أن هذا الفتى ليس هو (هاينز) .... !

★ ★ ★

أكاد أموت مللاً !

كلية جدًا فكرة السجن الجليدى داخل قرية تعزلها الثلوج عن العالم الخارجى ، السجن الأبيض البارد ينسيك كل شىء عن الطرقات والشوارع الواسعة التى تتسابق فيها السيارات .. تشعر باختناق كلما نظرت إلى السماء وتمنيت لو فردت جناحين تحلق بهما بعيدًا .. بعيدًا .. نحو بلادك الدافئة .. تتمنى أن ترى الطين .. الطين الأسمر الجميل بدلاً من هذه المادة البيضاء الباردة التى زحفت على روحك حتى جمدتها بين ضلوعك ..

لقد عشت تجربة القرية التى عزلها الجليد فى تلك القرية الرومانية التى واجهت فيها المذءوبين .. ماذا كان اسمها ؟.. آه .. (كرايوفسكا) على ما أظن ..

لكن سجنى الجليدى لم يطُل وقتها .. ثم إن الأحداث العاصفة التى حدثت هناك لم تدع لى مجالاً للشعور بالوحشة ..

أما هنا .. فحدث بلا حرج عن شعورى بالإحباط والاختناق وأنا أعدّ الأيام بانتظار ذوبان الجليد كى أعود إلى (بازل) فـ (جنيف) فـ (مصر) دون إبطاء .. صحيح أننى فى (سويسرا) جنة الله فى الأرض ..

لكن الحقيقة التى لا يغفلها أحد هى أننى لم أعد قادرًا على الاستمتاع بأى وضع يبقينى بعيدًا عن غرفة نومى ووسادتى ....

كانت تسليتى الوحيدة فى سجنى هذا هى الخروج مع البروفسير (شوندر) ود . (هوفمايشتر) وذلك السمج الذى لا أدرى سر بقائه حيًا د . (هانز رايتمان) ... وكنا نذهب فى زيارات إلى ديار هؤلاء المراهقين والشبان الذين بدت عليهم أمارات الداء المريب الذى تحدث عنه د . (هوفمايشتر) ..

لقد بلغ عددهم عشرة ...

والقصة دائما هى : العزلة والعصبية والبعد عن المجتمع الخارجى مع نحول ملحوظ ، و - بالطبع - الجزء الدائرى العارى من الشعر فى مؤخرة الرأس والذى يحرصون جميعًا على مداراته بقلنسوة صوفية ..

ويلاحظ الأهل دومًا أن الفتى تغير إلى حد غير عادى .. بل وأنه ينسى الكثير من الأشياء التى تشكل جوانب جوهرية جدًا من حياته ..

إن هذا لغريب حقًا ...

★ ★ ★

أمضى الوقت فى تعلم اللغة الألمانية محاولاً إضافتها إلى مجموعة اللغات التى أملك (الحد الأدنى من الأمان اللغوى) لها .. ومنها الفرنسية واليونانية .. لكن الحقيقة هى أننى شخت حقًا .. وكلما دخل عقلى لفظ أو تعبير جديد تسرب من عقلى لفظ يونانى أو فرنسى مماثل .. كأن تجويف مخى محدود الحجم لا يسمح سوى لكمّ معين بالدخول إليه .. وأى معلومة جديدة تقابلها خسارة لمعلومة قديمة .. إن هذا ينافى المنطق لكنه حدث !..

أرجو ألا يأتى اليوم الذى تطرد فيه اللغة الألمانية كل مصطلحات العربية من ذهنى المكدود هذا ..!

★ ★ ★

ومرت أيام ..

ولم يبدُ فى الأفق ما يبشر بقرب انتهاء الحصار ، وبرغم أن البلدية هنا أكدت مرارًا أن الحصار لن يطول أكثر من أسبوع ، كانت للطبيعة ـ كالعادة ـ الكلمة الأعلى .. وعرفنا أن كاسحات الجليد تعمل كلها دون انقطاع عند أطراف (بازل) ..

على أن العتاد والمؤن كانت تصلنا بانتظام ، كما كانت مفاجأة سارة ـ لقارئى الألمانية ـ حين وصلت الصحف والمجلات المتأخرة ، وتم إرسال أربعة صناديق كبيرة ملأى بالخطابات إلى (بازل) ليتم توزيعها من هناك ..

وكنت ـ طوال هذه الفترة ـ مقيمًا فى دار بروفسير (شوندر) حيث نشأ مع أبويه ، وقد خصص لى حجرة أنا وذلك السخيف (رايتمان) .. أما سكرتيرته (مارتا) فكانت تبيت مع الأم فى حجرة واحدة .. وأقام الأب مع ابنه (شوندر) فى حجرة أخرى ...

كان البيت مشيدًا أكثره من الأخشاب ، على غرار بيوت الفلاحين فى الجبال .. وكان دافئًا من الداخل إلى حد لا يصدق حتى أنك لتجد نفسك سابحًا فى بركة ماء أحدثها الجليد المتراكم على كتفيك وأرنبة أنفك وحاجبيك بمجرد أن تخطو إلى داخل البيت المريح النظيف إلى درجة غير عادية ..

وفى الفراش ترقد تحت غطاء من الفراء تتأمل العروق الخشبية فى السقف ، أو تستمع إلى المذياع محاولاً فهم حرف واحد مما يُقال ، أو ترسم الخطط للتودد إلى (مارتا) الحسناء غدًا ، أو تحاول تعلم المزيد من الألمانية حتى يأتى النوم فلا تدرى كيف ...

وغدًا يوم آخر حتمًا ...

الحق أقول لكم : لم أكن أهتم لحظة بهذه الأحداث الجارية بالقرية .. فمشاكل الشباب السويسرى هى آخر ما يعنينى أنا الملىء بالمخاوف على وطنى وعلى أهلى وعلى أصدقائى .. والغارق فى الأحزان الخاصة بخصوص أمى وخصوصى ..

هل سمع أحد عن مشكلة للشباب السويسرى ؟! لقد حلت هذه الشعوب مشاكلها منذ أعوام فلم تبق أمامها مشاكل سوى قضية الانتحار وعبثية الوجود ..

إنهم مترفون إلى حد يحرمهم من شفقتى إلى الأبد ...

ونظرت إلى يمينى وأنا راقد فى الفراش .. بغلَ أتأمل الجسد الضخم لـ د . (رايتمان) متدثرًا فى أغطيته محاولاً أن ينام برغم ضوء (الأباجورة) القائم من ناحيتى .....

لقد كان تباين مواعيد نومنا سبب خلافات لا تنتهى بينى وبينه بالإضافة إلى ثقل ظله الطبيعى ، وغروره ، وحذلقته ..

إنه من نوع الأرواح المغلقة التى لا تستطيع الوصول إليها مهما حاولت من ود أو رقة أو مجاملة ..

أذكر أنه لامنى مرة على استخدام كلمة (سويسرا) عند الحديث عن وطنه .. فسألته عن السبب فى حنق ..

- « يا سلام !.. وماذا أسميها إذن ؟ » .

- « سمّها (هلفتيا) .. (هلفتيا) كما يناديها أبناؤها .. أنتم تخترعون الأسماء بلا أساس وتعتبرون أنفسكم عباقرة » .

قلت له وقد صعد الدم إلى رأسى ..

- « هذا شىء رائع .. وأعدك بذلك بشدة إذا كففتم أنتم عن تسمية (مصر) بـ (إجيبتن) برغم أن كل أبنائها يسمونها (مصر) ، وإذا كففتم عن تسمية (سوومى) باسم (فنلندا) ! » .

كانت هذه هى خاتمة المحادثة لكنها تركت فى نفسه كراهية شديدة لى حتى أننى أدركت أن أفضل خدمة أؤديها له هى أن أموت ...

الأدهى هو أننى لا أعرف عمله بالضبط .. فقد كان معنا فى المؤتمر لكنه لم يقدم أبحاثًا ولم يناقش ولم يعطنى أى إيحاء بأنه طبيب .. إن أى سبّاك يحترم نفسه كان سيقدم آراء مثمرة أكثر مما قدمه هذا الـ (رايتمان) ..

لكن البروفسير (شوندر) يحبه ويصحبه معه فى كل مكان .. بل وإنه يرغمنى على مقاسمته الحجرة ..

إن الأمر لم ينته هنا .. بل إن (رايتمان) هستيرى يعانى الخوف من المرض .. لهذا يظهر الاشمئزاز من جواربى بطريقة مهينة للغاية ويخفى منشفته بعيدًا عنى كأنى أجرؤ على استعمالها .. ولا يكف عن الارتجاف كلما عطست أمامه .. بل إنه حرم على التدخين فى الغرفة تحريمًا باتًا .. هذا من حقه ولكن أين أدخن إذن ؟!..

كانت هذه الخواطر تجوب ذهنى وأنا أرمق جسده النائم فى كراهية .. أذنيه الكبيرتين وأنفه المعقوف الذى يذكرنى بصورة مرضى الزهرى فى كتاب (هتشنسون) ..

وشعره .. شعره الأشقر الشبيه بـ ..... غريب هذا !.. هناك بقعة خالية من الشعر فى مؤخرة رأسه .. بقعة مستديرة تمامًا أراها بوضوح حيث أدار وجهه للحائط بعيدًا عنى ..

لا أذكر أنه كان يملك أجزاء صلعاء فى رأسه .. وفى اليومين الماضيين كان يرتدى قلنسوة صوفية طيلة اليوم فلم أستطع رؤية شعره ..

متى وكيف ظهرت هذه البقعة ؟



هناك بقعة خالية من الشعر فى مؤخرة رأسه .. بقعة مستديرة تماماً أرها بوضوح حيث أدار وجهه للحائط بعيداً عنى ..

هذا غريب لكنه لن يحرمنى من نوم هادئ حتى الصباح .. لن أثير ضجة بسبب بقعة صغيرة صلعاء بينما رأسى كله أصلع كبطن ضفدعة ...

★ ★ ★

وكيف كان لى أن أعرف أنه فى تلك الليلة بينما أنا غافٍ - كمومياء (حتب حرس) - ناعم البال ، كان هناك شىء مروع يجرى عند أطراف القرية !..

بالتحديد فى الغابة المظلمة الباردة ما بين أشجار (اللارك) .؟

كانت (ساندى) قد ضربت موعداً لـ (كارل) هناك .. كلاهما شاب جميل ملىء بالحيوية .. الغد ينتظره والآمال تجرى فى دمه ويحب الآخر إلى حدّ الوله ..

المشكلة التى تضايق (كارل) هى التغير الذى طرأ على (ساندى) .. هو يعلم جيداً أن المرأة لها مزاج شبيه بالبحر .. تارة يتقلب وتارة يهدأ دونما سبب ، ويعلم أن المرأة تتألم من أشياء لا يجد الرجل فيها أى أذى .. إن المرأة تجد فى نسيان عيد ميلادها ما يجده الرجل فى صفعة على قفاه .. بل هى تعتبر هذا النسيان إهانة أشد وطأة ..

لكن (ساندى) كانت تتحسن وتعود لصوابها فى كل مرة ..

دائمًا تعود لصوابها إلا فى هذه المرة ...

لماذا تصر على النأى بعيدًا عنه ؟ ولماذا تفرّ منه ؟.. ولماذا تعقص الشعر عند مؤخرة رأسها بهذا الأسلوب العجيب ؟

ولماذا تفقد وزنها باستمرار ؟

عاش فترة طويلة أشبه شىء بقطعة خشب عائمة فوق بحر متقلب .. الأمل فالقنوط .. الحبور فالوجد .. انتظار الغد فالفزع منه ...

إنهن يُجدن هذه التسلية تمامًا ..

ثم جاءت تدعوه إلى لقائها فى الغابة هذا المساء ..

كاد يجن فرحًا .. تعطر ..! ارتدى أكثر ثيابه أناقة (وسمكًا كذلك) ثم هرع إلى هناك فوق الثلوج متسائلاً فى سره عن السبب الذى يدعوها لاختيار هذا المكان البارد الموحش للقاء ..

نعم هى تريد خلوة .. ولكن الغابة .. فى هذه الساعة .. إن فى هذا شيئًا من المبالغة ..

كانت هناك بانتظاره ..

البخار يتصاعد من فيها فيتجمد على خصلات شعرها وشفتها العليا وفى عينيها رأى مستقبلاً رائعًا إلى حد أنه مفزع ..

وهنا سمع اسمه ..

اسمه يتردد بصوت خفيض أقرب إلى الفحيح من عدة حناجر ..

ـ « كـ ... ا .. ر .. ل ..! »

نظر مجفلاً فرأى فى الظلام حوالى عشرة أشخاص يقفون فى شبه دائرة حولهما .. وكانت (ساند) ترمقه طيلة الوقت وفى عينيها دعوة صامتة له كى يشرب ..

يشرب من الزجاجة الصغيرة التى أخرجتها من ثيابها وقربتها من فيه وهى تهمس ـ دون أن تغمض عينيها لحظة ـ فى أذنه :

ـ « هلم يا (كارل) .. كن واحدًا منا .. نحن الغرباء » .

ارتجفت شفتاه ولاشعوريًا تراجع للوراء خطوة ..

ـ « أى غرباء ؟ » .

ـ « أبناء النيزك ! » .

وبدأ الفحيح يتعالى من الحناجر كنوع من الهتاف المنظم .. شيئًا فشيئًا يتعالى بالأسلوب الذى يسميه الموسيقيون (كريشندو) :

ـ « (كارل) !.. (كارل) ..! »

ـ « ماذا تعنون ؟.. هل جننتم جميعًا ؟ »

ـ « (كارل) !.. (كارل) ..! »

واصل التراجع للوراء وهو يردد دون كلل :

« هل جننتم ؟ »

ـ « (كارل) !.. (كارل) ..! »

ـ « أنت يا (فرانتز) !.. وأنت يا (دانييل) !.. ماذا دهاكم ؟ » .

ـ « (كارل) !.. (كارل) ..! »

وازداد الأمر سوءاً حين تقدمت إحدى الفتيات منه .. ناعسة هائمة شرعت تتراقص حوله ببطء رائحة غادية .. كأنها رقصة ! إغريقية قديمة أو شيء من هذا القبيل .

شعر بإرادته تتخلى عنه وجفونه تزداد ثقلاً ..

كلا .. هذا لن يكون .. إن هؤلاء الأوغاد .....

تراجع للوراء أكثر فأكثر ..

لكنه نسى أن الجليد زلق .. وأن سطحه غير منتظم .. وأن حذاءه غير معدّ لذلك .. و .....

★ ★ ★

كذلك كيف كان لى أن أعرف ـ حيث نمت كرجل من (روديسيا) لدغته مستعمرة من ذباب (تسى تسى) ـ أن مساعد الشرطة (شنايدر) صحا على جلبة قادمة من الزنزانة التى حبس فيها الفتى (هاينز) والتى تقع على بعد ثلاثة أمتار من الغرفة التى نام فيها المساعد ؟؟..

نهض هذا الأخير ليرى سر هذه الضوضاء عازماً على تهشيم رأس الفتى .. لكن ما رآه جعله يعدل عن هذا تماماً ...

لقد وجد الفتى متشبثاً بقضبان الزنزانة وقد تسلق عليها إلى أعلى مستوى ممكن حتى كاد يلمس السقف .. وكان ينظر لأعلى فى هيام والفتتان مروعين ، ومن فمه الفاغر تخرج عبارات معينة بلغة غير معروفة يكررها بلا انقطاع ..

والحق يقال .. كان المشهد مرعباً ورهيباً إلى درجة أن المساعد لم يجرؤ على اتخاذ رد فعل إيجابى باللوم أو التهديد أو التساؤل .. لا شيء على الإطلاق .. بل هو لم يتلفظ بحرف واحد ..

فقط تراجع ـ مرتجفاً ـ إلى غرفته وأغلق بابها بإحكام ..

إن ما رآه هو نوع من المس الشيطانى .. لا يوجد تفسير آخر لهذا الذى يراه .. فلتمرّ هذه الليلة بأى شكل فلا يوجد حل آخر ..

جلس يتصفح مجلات (جيجنفارت) التى وجدها عند الفتاة القتيلة (إنريكه) ليزجى الساعات الباقية على الفجر .. وبعصبية قرب المدفأة الكهربية من قدميه المتجمدتين ..

إن هذه المجلات الشبابية كلام فارغ - فكر فى حنق - هى أشبه بالساندوتشات الثقافية السريعة التى ترضى كل الأذواق ، وهو كان معتادًا على الوجبات الثقافية الدسمة ولا يهوى أسلوب (التيك أواى) هذا .. ثم إن حرص هذه المجلات على إغراء الجميع جعلها خليطًا متنافرًا من السياسة والحب والرياضة والسينما والجريمة .. كأنها طبق من اللحم والعسل و(الكيتشب) والبصل ..

وهنا لاحظ - فى ركن (طبيبك) - شكوى أحد القراء من (موندهاوزه) يتحدث عن غرابة أطوار صديقه .. وفى ذات الصفحة شكوى لقارئة تتحدث عن جزء عار من الشعر فى رأس أختها .. أمن هذا الوقت المبكر إذن ؟..

يا لها من مصادفة !.. إن المفتش (شبيرت) سيكون فخورًا به حين يرى هذه الصفحة .. انتزعها ووضعها على المكتب .. ثم عاد يطالع أعداد المجلة فى اهتمام زائد بحثًا عن صدف أخرى ..

وكان أن وجد قصيدة (بيتر شمارت) السخيفة عن النيزك ، ثم وجد عددًا تشكو فيه (إتريكه) إلى محررة باب (جراح القلوب) التغيّر الذى طرأ على خطيبها ونفوره منها بعد وفاة أخيه ..

ياله من صيد ثمين !.. إن مجلة (جيجنفارت) مجلة تافهة حقًا لكنها تلقى رواجًا لا بأس به بين شباب القرية .. وقد قدمت له معلومات لا بأس بها أنسته الرعب الذى عاشه منذ لحظات مع هذا الذئب المسعور (هاينز) ..

* * *

وكيف لى أن أعرف - وأنا نائم كسلحفاة فى (ديسمبر) - أن د . (رايتمان) فتح عينيه .. أدار رأسه إلى اليسار وشرع يتأملنى فى ظلام الحجرة بضع دقائق مصغيًا لصوت شخيرى وحشرجة صدرى الذى سد التبغ شعبه .....

وكيف لى أن أعرف أنه كان يفكر فى شىء ما .. شىء يتعلق بى ؟؟......

* * *

- ٢ -

وجدوا جثة (كارل) الشاب البالغ من العمر تسعة عشر عامًا .. وجدوها مغمورة فى الثلوج خارج الغابة ..

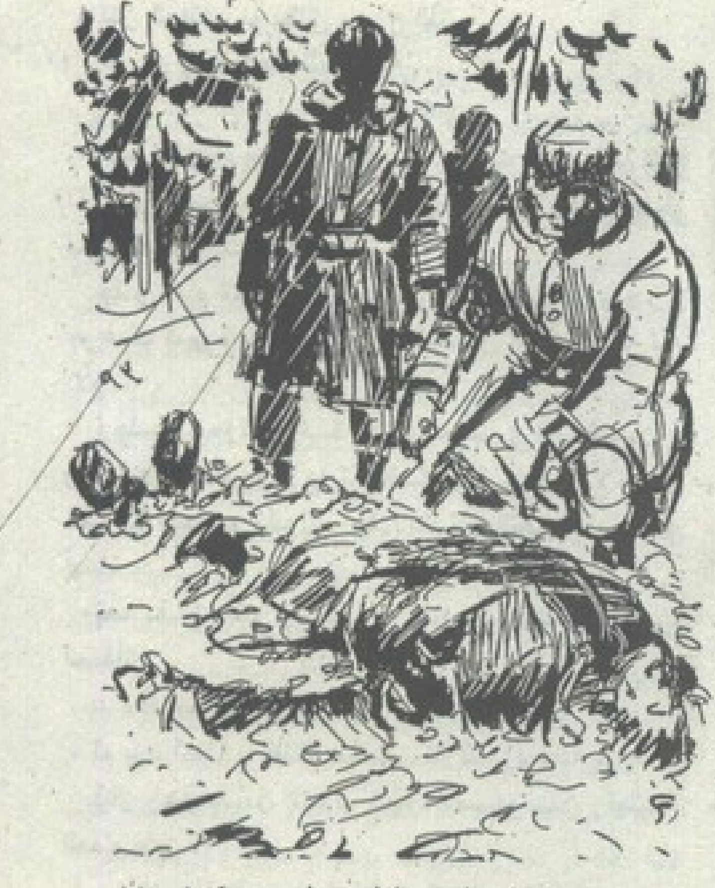
كانت هناك عدة طعنات فى جسده ، ومن المؤكد أنه صارع قاتليه بعنف .. لكن لم توجد أية آثار أقدام حول الجثة سوى آثاره هو ..

أخبرنى البروفسير (شوندر) بهذا صباحًا على مائدة الإفطار .. كما أخبرنى أن المفتش (شبيرت) يكاد يجن من كثرة الحوادث الغامضة التى تجتاح قريته الهادئة ..

لم يكن هناك ما يدل على الجانى ، لا أعداء للفتى .. لا علاقات غامضة .. أما أهله فيؤكدون على أنه معتاد على العودة للدار فى ساعة متأخرة فلم يساورهم القلق بشأنه إلى أن جاء الصباح وأدركوا أنه ليس فى فراشه .....

كان لهذا معنى واحد ..

لربما كان (هاينز) بريئًا من دم (إتريكه) .. ها هوذا حادث مشابه يقع ، بينما الفتى رهين محبسه ، ثم إن أحدًا لم يستطع بعد إثبات أن الدم على الخنجر هو دم الفتاة .. ودون معمل جنائى يستحيل البحث عن بصمات على الخنجر أو نافذة الفتاة ..



وجدوا جثة (كارل) الشاب البالغ من العمر تسعة عشر عامًا .. وجدوها مغمورة فى الثلوج خارج الغابة ..

لكن المفتش لم يطلق سراح الفتى ..
هو لن يترك شيئًا للمصادفة ...

★ ★ ★

عند الظهيرة وصل المفتش (شبيرت) مهمومًا إلى دار البروفسير .. كأن كتفيه تزنان أطنانًا .. وكان يحمل مجموعة مجلات تحت إبطه ..

جلس أمام المدفأة عشر دقائق صامتًا يدخن ويجرع جرعات كبيرة من المشروب الساخن الذى قدمته له الأم ..

وجلسنا حوله أنا والبروفسير و (رايتمان) ود. (هوفمايشتر) و(مارتا) السكرتيرة حائرين لا ندرى حقًا ما نفعل أو نقول .. فقط نتبادل النظرات ونفرك أيدينا ..

بعد دقائق أخرى غمغم الرجل وهو يتأمل لهيب المدفأة :

- « أنا بحاجة إليكم ... »

لم يرد أحدنا .. ظللنا صامتين نترقب رد فعله ..

قال وهو يتأمل الكوب الذى أمسكه بين راحتيه المفتوحتين :

- « إن هذا الذى يحدث ليفوق تحملى وتوقعاتى » .

- « هوّن عليك يا (هيرمان) .. » .

قالها البروفسير وهو يستلقى فى مقعده ..

أخرج المفتش علبة سجائره فتناول لفافة تبغ منها أشعلها ، وكذا أشعلت أنا لفافة أخرى .. ومدّ (رايتمان) يده فأخذ واحدة من علبة المفتش وأشعلها وجلس يصغى ..

- « فى البدء كانت جريمة مقتل - أو انتحار - الفتى (بيتر) وقد بدا لنا الأمر عاديًا .. ثم جاءت جريمة مقتل (إنريكه) .. وبدا لى أن الحل واضح : غيرة مفرطة من (هاينز) جعلته يقتل أخاه وحبيبته .. لكن التحقيق مع (هاينز) لم يفض إلى شىء .. فيما عدا انطباعًا غريبًا سيطر علىّ طيلة التحقيق .. إن هذا الفتى يكذب طيلة الوقت .. بل هو لا يعرف الكثير عن أخيه ، فقد قال إن (بيتر) لا يقرض الشعر وكل القرية تعرف أن هذا غير صحيح .. وقال إنه - (هاينز) - حاول الانتحار منذ ثلاثة أسابيع برغم أن أحدًا لم ير خدشًا فى معصمه .. » .

وتوقف لحظة ليطفئ رماد السيجارة .. وحكّ عنقه فى إنهاك :

- « ثم جاء حادث هذا الفتى (كارل) ليدمر أدلتنا كلها لأنه مات فى نفس الظروف بينما (هاينز) فى قبضتنا .. وهذا يعنى أن هدفنا ما زال حرًا طليقًا .. » .

تساءل (رايتمان) فى حذر :

- « تعنى أن هناك سفاحًا يمارس نشاطه فى القرية ؟ » .
- « بل ما هو أسوأ .... » .

ودون أن يشعر أشعل لفافة تبغ أخرى واستطرد :

- « أنتم تعلمون أننا مصب المعلومات إلى حدّ كبير .. وقد علمت شيئًا ربما كان ذا أهمية .. لا أدرى بالضبط .. لقد وجد حارس المقبرة آثار عبث فى قبر الفتى (بيتر شمارت) .. لم توجد آثار أقدام ولا شىء .. حتى أن الانطباع الذى كونه هو أن شيئًا بالمقبرة كان يحاول الخروج منها ! » .
- « رباه ! » .

صاحت (مارتا) فى توتر .. أما د . (هوفمايشتر) فقال فى عصبية :

- « أنا لم أخطئ التشخيص .. إذا ظننتم أنها كانت حالة (تيبس عضلات) نفن صاحبها حيًا فأنتم مخطئون ! » .

نظر له المفتش فى دهشة ولسان حاله يقول : أى معتوه هذا ؟

ثم قال وهو يضغط على كلماته :

- « هل اتهمك أحد بشىء ؟ » .
- « حسبت فى هذا نوعًا من التلميح .. » .

- « لسنا، فى إحدى قصص (إدجار آلان بو)(*) فاهدأ قليلاً .. » .

قلت أنا محاولاً إزالة مناخ الخزعبلات هذا :

- « لسنا كذلك بصدد عملية التحول إلى مصاص دماء .. فالموتى لا يغادرون قبورهم إلا يوم الحساب .. » .

ساد الصمت هنيهة ثم قال البروفسير بتؤدة بعد أن رشف رشفة ماء :

- « هلا أكملت كلامك يا (هيرمان) ؟ » .

قال المفتش وهو يقلب صفحات مجلة من التى كان يحملها :

- « أخيرًا بدأنا نطالع صفحات هذه المجلة (جيجنفارت) التى كانت لدى القتيلة (إنريكه) ووجدنا فيها أشياء هامة للغاية منها قصيدة للفتى (بيتر) والمزيد من شكوى تساقط الشعر الدائرى وخطاب (إنريكه) إلى المحررة تشكو تغير شخصية حبيبها الذى هو (هاينز) طبعًا .. وهذا ليس كل شىء ... » .

وفتح مجلة أخرى وأشار إلى مقال فيها :

(*) يعنى قصة (سقوط منزل آشر) وهى أشهر قصص الدفن لأحياء . وهى من قصص (إدجار آلان بو) الكابوسية الخالدة .

- « هذا هو العدد الأخير من المجلة وكان قد تأخر كثيرًا بسبب ظروف العاصفة ، وبه آخر خطاب كتبته (إتريكة) للمحررة .. لقد تأخر إرسال الخطاب كثيرًا لذات الظروف ، لكنه حين وصل للمجلة نُشر فورًا ، ولم تدر المحررة أن قارئتها هى الآن جثة تنتظر التشريح .. » .

مدّ (رايتمان) يده إلى كوب الماء الذى بقى به بعض الماء ، فجرعه ثم تساءل :

- « وماذا فى الخطاب ؟ » .

- « أرجو أن تقرأه بنفسك على الجالسين .. » .

ساد الصمت على حين أمسك د . (رايتمان) المجلة وشرع يقرأ بصوت مسموع خطاب (إتريكه) إلى المحررة :

- « عزيزتى (مارليز) :

كتبت لك منذ أيام أحكى لك قصة فتاى الذى ....

....

... صوت الطرقات على زجاج نافذتى .

بإخلاص : (إتريكه) ـ (موندهاوزه) » .

ما إن انتهى (رايتمان) من قراءة الخطاب حتى عمّ الصمت .. الصمتُ الثقيل ذو الدوىّ الشبيه ـ حتمًا ـ بالصمت الذى ساد الكون بعد أن رست فلك (نوح) فوق جبل (أرارات) ..

كان البروفسير (شوندر) هو أول من تكلّم .. قال :

- « إن هذا .. خطير ... » .

وهتف د . (رايتمان) وهو يطوى المجلة :

- « كأن هناك تنظيمًا ما .. مجموعة من الشباب يمارسون نشاطًا غامضًا فى الليل ، وهم يحاولون ضمّ آخرين إليهم .. » .

قلت وأنا أشعل لفافة تبغ :

- « إذن .. لقد مرّ (كارل) بتجربة مماثلة » .

نظر لى البروفسير (شوندر) للحظة مفكرًا .. ثم غمغم :

- « الواقع أن هذا صحيح .. لقد لقى الفتى حتفه جوار الغابة وهذا يعنى أنه كان ـ بشكل ما ـ متورطًا مع هؤلاء الأوغاد الذين لا أدرى ما يمثلون بالضبط .. »

مرة أخرى ساد الصمت الثقيل .. الكل يبحث عن شىء يُقال ..

- « وما رأيك أنت أيها المفتش ؟ » .

هذه كانت من (مارتا) السكرتيرة ..

والتقت عيوننا على المفتش (شبيرت) الذى تشاغل بتقليب صفحات المجلة التى كانت معه ...

★ ★ ★

- « لنقل إن لدينا بعض حقائق ثابتة يمكن الارتكاز عليها .. ولئن كنت على خطأ أرجو أن تصححوا لى ..

- « أولاً : هلكت (إنريكه) و(بيتر) وربما (كارل) لأنهم رفضوا أن يكونوا من الغرباء وبالتالى عرفوا أكثر مما ينبغى لهم أن يعرفوه .. هل هناك اعتراض ؟ » .

- « لا .. نحن نوافقك تمامًا .. استمر .. » .

- « ثانيًا : لا يمكن معرفة أفراد المجموعة لكن (هاينز) - بما لا يقبل الشك - واحد منهم .. » .

رفعت يدى معترضًا ، لكن المفتش (شبيرت) هزّ رأسه فى نفاد صبر طالبًا منى أن أنتظر .. واستطرد :

- « ثالثًا : يمكن معرفتهم إلى حدّ ما بعمل مسح على رءوس شباب القرية .. فمن وجدناه فقد وزنه ورقعة دائرية من شعر رأسه يكون من هؤلاء .. وحين تنتهى العاصفة يمكننا مقارنة بصماتهم جميعًا بالبصمات على الخنجر .. أليس هذا ما أردت قوله يا د . (رفعت) ؟ » .

- « نعم .. » .

- « رابعًا : ما هو سرّ ما حدث لهؤلاء الشباب ؟ » .

قلت وأنا أحاول ألا أبدو سخيفًا :

- « الاحتمال الأول هو تفشى أفكار هدامة - كأفكار الهيبز - بين هؤلاء الشباب ، ولا أرى ما يدعونا لاستبعاد

تعاطى المخدرات هنا .. وهذا يجعلهم يكونون ما يشبه الجماعات الدينية المخبولة التى تملأ الولايات المتحدة . لقد ذبح (الهيبز) ممثلة السينما (شارون تيت) لأنهم ظنوا أن السماء أمرتهم بذلك ، وأرى أن هذا هو ما يجرى هنا .. » .

- « وفقدان الوزن ؟.. ودائرة الشعر العارية ؟ »

- « فقدان الوزن علامة دائمة من علامات تعاطى المخدرات أما دائرة الشعر العارية فلربما كانت علامة خاصة بهم يصنعونها بأنفسهم لأنفسهم .. » .

نظر المفتش (شبيرت) إلى من حوله فوجد نوعاً من الموافقة .. قال وهو يشعل لفافة تبغ :

- « نظرية مقبولة .. وإن كانت لا تفسر ما حدث عند قبر (بيتر) وما حدث لجثة (إنريكه) ..! » .

- « (إنريكه) ؟!! » .

دوت الصيحة من خمسة حناجر فى وقت واحد ..

- « وهل حدث شىء لـ (إنريكه) ؟! » .

اهتز كتفا المفتش (أهو ضحك مكتوم أم بكاء ؟) وغمغم :

- « ألم أخبركم ؟.. لقد اختفت الجثة مساء أمس من الحجرة التى وضعناها فيها فى المخفر ! » .

★ ★ ★

قلت فى عصبية :

ـ « وماذا فى ذلك ؟.. ربما كان أولئك المخبولون حريصين على استرداد جثث ضحاياهم لأغراض تتعلق بالسحر الأسود ..؟ » .

نظر لى بعينيه الزرقاوين الباردتين وتساءل :

ـ « وكيف يمكن سرقة جثة من مخفر شرطة بهذه البساطة ؟..

لقد فُتحت النافذة من الداخل يا عزيزى .. وأنا أعنى ما أقول دون أدنى محاولة مسرحية لإثارة اهتمامكم ..! » .

ونظر إلى لفافة التبغ التى يمسكها .. وتهاتف فجأة :

ـ « إن هذا لفوق إحتمااااااالى ... هى ى ى ! » .

ودفن وجهه فى يديه وشرع يهتز ...

يا له من جنون !.. إن مشهد هذا المفتش المخضرم قوى الأعصاب وهو يبكى كالمراهقات كان لا يُحتمل .. وشعرت بأمعائى تتلوى مع رغبة حادة فى القىء ..

على حين قدم البروفسير (شوندر) بعض الشراب للمفتش مردداً .

ـ « هلم يا (هيرمان) !.. إن هذه ليست غلطتك ! » .

ـ « أكاد أجن يا (فريدى) .. » .

حقًا !.. ومن ذا الذى لا يوشك على الجنون ؟

* * *

عند هذه النقطة وقف د . (هوفمايشتر) فى توتر .. عيناه تلتمعان .. وقبضتاه مكورتان ..

صاح واللعاب يتناثر من فيه (فوق وجهى للأسف) :

ـ « هوذا !.. لا يوجد سوى حلّ واحد .. إنها حالة استحواذ كاملة تلك التى نحن بصددها .. » .

تساءل البروفسير وهو يربت على ظهر المفتش :

ـ « استحواذ ؟.. ماذا تعنيه ؟ »

ـ « استحواذ روحى .. إن هؤلاء الفتية ممسوسون !.. كل شىء يشير لهذا لكننا نتجاهل ذلك التفسير .. » .

تساءل د . (رايتمان) فى شىء من السخرية :

ـ « ومن مسّهم ؟ » .

ـ « ألا تفهمون ؟.. لقد حدث كل هذا بعد سقوط النيزك المشئوم .. الأمر واضح إذن .. ثمة كائنات لا مرئية جاءت الأرض فوق متن النيزك ثم شرعت تغزو شباب قريتنا واحدًا تلو الآخر .. وعلامة الغزو هى دائرة عارية من الشعر فى مؤخرة الرأس .. ومن يعرف سرهم يُقتل دون رحمة . لقد كان (بيتر شمارت) يتحدث عنهم طيلة الوقت .. يقول إنهم حولنا .. لم يصدقه أحد حتى دفع حياته ثمنًا لما عرفه ! » .

* * *

« هلم يا (كارل) .. كن واحدًا منا .. نحن الغرباء .. » .

* * *

« هلمى يا (إتريكه) .. كونى واحدة منا .. » .

* * *

« أبناء النيزك .. » .

* * *

استعد المفتش للانصراف .. ارتدى معطفه وقد ارتسمت مخايل السلطة والجدية على وجهه من جديد ، كأنه يدعونا إلى نسيان لحظة الوهن العابرة التى مرّ بها منذ ثوان ..

وهنا سرت معه إلى الباب الخارجى ...

بدا عليه نوع من الدهشة ـ كما بدا على الجالسين جميعًا ـ منْ سيرى معه .. فأنا وهو لا نملك مواضيع مشتركةً ولسنا صديقين بكل تأكيد ...

لكننى خرجت معه من الباب ، وتأبطت ذراعه وهو يمشى فوق الثلج قاصدًا سيارته التى أحيطت إطاراتها بالجنازير للتمكن من السير فوق الجليد ...

قلت له والبخار يتصاعد من فمى :

ـ « أخشى أننى بدأت أوافق د . (هوفمايشتر) على كلامه ! » .

نظر لى فى حيرة .. ضخم البنيان عريض المنكبين كجدار حىّ .. وتساءل :

ـ « هذا الهراء ؟ » .

ـ « نعم .. » .

وتلفتّ حولى .. ثم همست :

ـ « إننى أشعر بأن هذا الوباء ـ أو الاستحواذ ـ لم يكتف بالشباب بل هو يزحف نحو الكبار .. » .

ـ « ماذا تعنى ؟ » .

ـ « أعنى أن هناك أشياء مريبة تحيط بـ د . (رايتمان) هناك بقعة صلعاء حديثة فى مؤخرة رأسه .. » .

ـ « وماذا فى ذلك ؟.. إن الرجل فى سن الصلع الوراثى الـ ... » .

قاطعته وأنا أرمق عينيه فى ثبات :

ـ « الصلع لا يظهر بين يوم وليلة .. ثم إننى راقبت مسلكه فى أثناء جلستنا .. ألم يأخذ منك لفافة تبغ ويشعلها ؟.. إن (رايتمان) الذى أعرفه لا يطيق التبغ .. ألم يكمل كوب الماء الذى شرب منه البروفسير؟.. إن (رايتمان) الذى أعرفه مجنون بصحته ويستحيل أن يلمس كوبًا استعمله أحد أمامه .. » .

ـ « وماذا تريد قوله ؟ » .

ـ « أريد القول إن هذا ليس (رايتمان) !! » .

* * *

- ٣ -

أخيرًا اقتنع المفتش بأننى لست مخبولاً .. وطلب منى أن أراقب الموقف وأن أبلغه بما يستجد .. وأن .... أكون حذرًا ...

وحين انصرف وقفت أرمق الثلوج فى شرود .. ثم عدت إلى دار البروفسير ، وبالطبع ظللت صامتًا برغم النظرات الفضولية التى أحاطت بى ..

إن البروفسير - لسبب لا أدريه - يثق ثقة عمياء بـ (رايتمان) ويحترمه ، وحتمًا لن يصغى لأى شىء أقوله فى هذا الصدد .. وانصرف د . (هوفمايشتر) بعد دقائق ناصحًا إيانا أن نفتح أعيننا ونكون أكثر حذرًا .....

* * *

بعد الغداء جلست أدون أحداث هذه القصة لأتذكرها فيما بعد إذا ما ظللت حيًا ، كنت جالسًا فى غرفة المعيشة وحدى .. إن (رايتمان) فى غرفتنا الآن ... وأنا لا أدرى ما سأفعله حين يأتى المساء ، فالمؤكد أننى لن أبيت ليلة واحدة أخرى مع هذا (الشىء) ..

لو ذاب الجليد لنسيت كل شىء ورحلت إلى (بازل) كاسرًا (قلة) خلفى - لو وجدت واحدة - كى لا أعود إلى هذه القرية المشئومة ..

لكنى هنا .. ومن الواجب أن أتحمل ما أنا فيه ..

وهنا سمعت صوت خطوات رقيقة تنساب خلفى ..

رفعت رأسى فوجدت (مارتا) الحسناء سكرتيرة البروفسير تدنو منى حاملة قدحًا من (الكاكاو) قدمته لى ، ثم تربعت - كالهرة - على الأريكة جوارى تحسو نصيبها من قدح آخر كانت تحمله ..

- « فيلين دنك ! »(*) .

فهزت رأسها وشرعت تحسو (الكاكاو) من القدح وعيناها الزرقاوان مثبتتان علىّ ...

يجب أن أقول هنا إن (مارتا) كانت بارعة الجمال .. ليس ذلك الجمال (الآرى) السخيف الشبيه بالتماثيل والذى تراه فى كل الناطقات بالألمانية ، لكنه جمال حىّ ظريف المعشر .. وأنا رجل نحيل أصلع فى العقد الخامس من العمر وعندى من الحكمة ما يكفى لجعلى كلما رأيتها أردد (سبحان الله) ، ثم أنسى الأمر برمته ..

لكن القرصين الأزرقين كانا مسلطين على وجهى كما تسلط كشافات (الجستابو) على فدائى فرنسى ضبط متلبسًا .. حتى أننى كدت أعترف لا أدرى بأى شىء بالضبط .. أعترف فحسب ..

(*) شكرًا جزيلاً (بالألمانية) .

- « خيرًا ..؟.. هل ثمة شيء غريب فى مظهرى ؟ » .
قالت فى هيام حقيقى وهى تتأملنى :
- « لم أدر من قبل كم أنت جذاب ! » .

كنت أجن فرحًا ثم فطنت إلى أن هناك شيئًا ما على غير ما يُرام ..

حين ترى فتاة أننى جذاب أوقن أنها معتوهة أو تعبث بى ..

- « هل تحب الجليد ؟.. » .
- « أحبه فى عصير الليمون طبعًا .. » .

ضحكت .. أكثر مما يحتمله القول فى الواقع .. ورشفت المزيد من (الكاكاو) ثم لعقت بقاياه من على شفتيها .. وهمست:

- « أنت ظريف .. أتحدث عن الجليد الحقيقى .. الثلج الأبيض فى كل مكان .. البرد الذى يدغدغ أناملك وأرنبة أنفك .. الظلام .. الأشجار الصامتة التى تحيط بعاشقين لا يريان فى الكون سوى بعضهما .. ألا يحرك فيك هذا شيئًا ؟! » .

وفى تؤدة قدمت عرضها : تريد أن نخرج معًا - أنا وهى - وحيدين إلى الغابة هذه الليلة نتناجى ونتأمل الجليد المتسربل بالظلام .. تتعانق يدانا وتتلاقى عينانا

و....... هل فرغت من قدح (الكاكاو) ؟.. إذن هاته وفكر فى عرضى جيدًا إلى أن أغسل القدحين ...

ولما نهضت لتضع القدحين فى المطبخ اختلست نظرة إلى ظهرها .. ولم يفتنى أن ألاحظ البقعة الخاوية من الشعر فى مؤخرة رأسها .. البقعة التى لم أرها أمس ... البقعة التى عرفت أننى سأجدها .....

الآن فهمت ....

اللعينة !... لقد بدأت الآن فقط أدرك مدى تغلغل هذا الوباء فى القرية .. أولاً (رايتمان) ثم (مارتا) .. ثم أذهب أنا معها إلى الغابة كالأبله وهناك تدعونى إلى أن أصير من الغرباء .. فإما أن أقبل وأعود شخصًا آخر له رقعة صلعاء فى مؤخرة رأسه .. وإما أن أرفض ويجدوا جثتى ممددة فوق الجليد غدًا ..

إنها الآن فى المطبخ .. فماذا أفعل ؟ وكيف أتخذ قرارى ؟..

نهضت إلى الهاتف وأدرت رقم المخفر .. بعد ثوان سمعت صوت المفتش (شبيرت) الغليظ يتساءل عما هنالك ..

هامسًا قلت :
- « أنا (رفعت) أيها المفتش .. (رفعت إسماعيل) ..

أعتقد أن (مارتا) سكرتيرة البروفسير لم تعد هى .. لقد ظهرت العلامة فى رأسها .. والأدهى أنها تغرينى للذهاب معها إلى الغابة ليلاً .. » .

بدا الاهتمام فى صوته وهو يهتف :

- « لا تفوّت الفرصة إذن .. اذهب ! » .

- « لحظة .. لا أعتقد أنها تريد ذلك حبًا فى شعرى الجميل .. » .

- « أنا أفهم يا أحمق لكنك لا تفهم .. إنها تقدم لنا فرصة ذهبية للقبض على هؤلاء متلبسين .. سنكون هناك أنا ورجالى مسلحين بمجرد أن يحاصروك .. » .

- « إذن ..... »

- « تظاهر بقبول العرض .. وليكن اللقاء فى منتصف الليل » .

- « ولكن ..... سأقبل العرض ...... » .

★ ★ ★

وهكذا يا رفاق ترونني أمشى مع (مارتا) إلى الغابة عند منتصف الليل ... أرتدى ثلاث طبقات من الثياب الصوفية وقلنسوة وقفازين .. وفى جيبى ينتظر مسدسى قلقًا ....

كانت تتحدث فى مرح وطلاقة عن أشياء رائعة لكنى لم أفقه حرفًا مما تقول ..

كنت أفكر فى حقيقة هذا (الشىء) الذى أمشى معه .. أكائن غريب حقًا أم عضو فى تشكيل عصابى ما ؟.. وكيف ستكون نهاية هذه القصة الدامية ؟.. ترى هل صدقنى المفتش ؟.. ماذا يفعل (رايتمان) الآن ؟.. هل علم أحد بخروجى ؟....

ها هى ذى الغابة بأشجارها السامقة المكسوة بالجليد .. الظلام .. صوت أنفاسى اللاهثة .....

- « ها نحن أولاء قد وصلنا » .

قالتها (مارتا) وهى تريح ظهرها إلى جذع شجرة .. أما أنا فدسست قرصًا من (النيتروجلسرين) تحت لسانى احتياطًا للمفاجآت القادمة ووقفت أرمقها فى تحفز ..

- « ماذا دهاك ؟.. هل أنت معجب بى حقًا ؟ »

دعينا من هذا الهراء يا فتاة وأرينى لعبتك .. هأنذا فريسة طازجة بين يديك وما زلت تمثلين ؟.. مشكلتى هى أننى سريع الملل .. ولا أطيق التطويل دون داع ..

وهنا رأيت الظلال تقترب منا .. ظلال رجال ونساء يمشون فوق الجليد ببطء خالقين دائرة شبه كاملة حولنا .. كان عددهم يقترب من العشرين ... وسمعت صوتًا خافتًا كالفحيح من حناجرهم :



وهنا رأيت الظلال تقترب منا .. ظلال رجال ونساء يمشون فوق الجليد ببطء خالقين شبه دائرة كاملة حولنا ..

ـ « ر .. يـ .. فـ .. ا .. ت ! .. ر .. يـ .. فـ .. ا .. ت ! » .

كان صوتًا هو أقرب لهتاف يتعالى ببطء .. وسمعت (مارتا) تهتف بى وقد اتسعت عيناها الزرقاوان :

ـ « هلم يا (رفعت) كن واحدًا منا .. إن الغرباء أبناء النيزك يريدونك بينهم ... » .

ـ « (ريفات) !.. (ريفات) ! » .

كان المشهد مروعًا بحق لكنه لا يخلو من سحر خاص .. ذلك السحر المميز لحفلات (الزار) فى ريفنا .. الانبهار هو ما يميزه .. إنهم يقودونك إلى نوع من التنويم المغناطيسى يجعلك تقبل كل شىء ..

ورأيت الفتاة إياها ـ ذات الشعر المنسدل على وجهها ـ وقد دنت منى وشرعت تدور حولى ببطء آتية بحركات راقصة ساحرة .. ولم أتبين وجهها المغطى بالشعر لكننى شعرت بأننى أغوص أكثر .. أغوص .....

وهنا سمعت الصوت الغليظ إياه يهتف :

ـ « توقفوا جميعًا ! » .

رفعت عينى فى لهفة لأرى المفتش (شبيرت) وحوله ثلاثة رجال أشداء برزوا جميعًا من مكان ما فى الظلام ، وفى قلبى ترقرقت أنهار العرفان بالجميل .. لقد جاء فى الوقت المناسب كما وعد ...

نظرت نحوه فى ترقب .. فسمعته يصيح وهو يقترب ..

ـ « لقد نفذنا ما اتفقنا عليه يا د . (رفعت) » .

ـ « مرحى ! » .

ـ « وصرت فى قبضتنا ! » .

ـ « .... ؟! » .

ونظرت إليه غير فاهم ولا مصدق ، فإذا به ينظر للشباب ويقول كلمات لم أدر معناها .. كانت عيناى ثابتتين على رقعة الشعر العارية فى مؤخرة رأسه !..

والتفت لى وقد أدرك أننى لاحظت .. قال فى ثقة :

ـ « هأنتذا ترى أننى لم أعد أنا .. كنت ساذجًا يا زميلى .. ساذجًا إلى حدّ لا يصدَّق ! » .

تراجعت بظهرى للوراء ببطء :

ـ « إذن .. فأنت أيضًا ؟ » .

ـ « بالتأكيد ! لابد لنا نحن الغرباء من التكاثر .. نحن بحاجة إلى أجساد مادية نحيا فيها .. وغدًا يعود د . (رايتمان) إلى (بازل) ليجد آخرين ، وتعود أنت إلى (مصر) لتجد آخرين ..

وعما قريب سيكون العصر عصرنا .. نحن الغرباء ! » .

ازددت تراجعًا وأنا أوشك على فقدان الوعى :

ـ « إذن النيزك هو الذى .... » .

ـ « بالتأكيد .. كنا نحن جزءًا من النيزك وكان لابد أن نستمر .. » .

ومن وراء كتفه رأيت الآخرين يدنون ....

وعلمت أننى لن أستطيع الركض فوق الجليد ، ولا الاستمرار فى التراجع بظهرى لأنى ـ حتمًا ـ سأصطدم بشىء ما ...

إذن ...

ليس فى جعبتى سوى الصراخ ....

الصراخ ....

* * *

خاتمة

لم أصدق قط أننى كنت أحلم ..

حين صحوت صارخًا من النوم ، ووجدت د . (رايتمان) جالسًا جوارى على الفراش يحاول تهدئة روعى ..

أجفلت منه وقد خطر لى أنه جزء من الكابوس .. ثم هدأ بالى بعد ثوان حين عرفت أن كل هذا كابوس زارنى بعد قراءة مقال جريدة (نويشاتل) عن النيزك ، وبعد كل ما التهمته فى العشاء من فطائر .

كنا فى كوخ البروفسير بقريته لكن لا حصار ثلوج ، ولا خطابات إلى مجلة (جيجنفارت) ... ولا غرباء ....

لقد كان كل هذا كابوسًا محكمًا خلقه عقل مريض ...

* * *

وحتى حين عدت إلى (مصر) ظلت الرؤيا تطاردنى .. وذلك المشهد الأخير الذى صحوت فى ذروته .

وحين رأيت ـ باستعمال مرآتين ـ تلك البقعة الصلعاء فى مؤخرة رأسى ظننت أننى صرت من الغرباء ، وأن استيقاظى من الكابوس هى خدعة محكمة دبروها لى ..

وذهبت لأحد أطباء الأمراض الجلدية النابهين ، وصارحته بأمر هذه البقعة وريبتى من أمرها ..

قال لى وهو يجلس على مقعده بعد أن أتم الفحص :

ـ « إن الصلع يملأ رأسك فما الجديد هنا ؟ » .

ـ « كان فى مقدمة الرأس فقط ... » .

ـ « الآن صار فى مؤخرته أيضًا .. إنك تتقدم فى العمر يا صاحبى .. » .

وهكذا نسيت كل شىء عن هذه القصة ، وإن كنت بعد كل هذه الأعوام أسائل نفسى عما إذا كان حلمًا حقًا ..

لقد كان حلمًا له صوت ورائحة وملمس ودرجة حرارة ...

لكننى سعيد برغم كل شىء أن كل هذا لم يكن حقيقة ..

* * *

وحين عدت إلى (مصر) كان هناك كابوس آخر ينتظرنى .. كابوس قادم من عوالم قصص الرعب التى لا ترحم .. وكان صاحبه هو أعظم مؤلفى الرعب قاطبة .. ولكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة الغرباء

عندما تفنى الظلال.. عندما تبدأ الشمس رحلة النهاية.. عندما يتوقف الزمن.. عندما تعلن طيور الظلام إمبراطوريتها.. عندما تذوب الآمال وتتآكل الأحلام ويفنى الغد.. عندئذ.. يأتى الغرباء..

د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة (بو)

الثمن فى مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع